سنابل مهدويّة

فاضل الفراتي

دار المرتضى

سنابل مهدوية

﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ﴾

دراسة تأويلية في النصوص القرآنية المهدوية

وفق أحاديث العترة الطاهرة من آل محمد صلوات الله عليهم

فاضل الفراتي

الإهداء

إلى دار الجلال

وحجاب الرحمن

نسخة محمد وعلي في آخر الزمان

صاحب يوم العدل الأكبر

مظهر الجنان ومفني الأصنام

سيدي يا صاحب الأمر... عبدك وأبن عبدك وأبن أمتك يهدي إليك ما كتبه بفضل بحر جودك ومددك فتصدق عليه بالقبول... فديتك.

فاضل

كربلاء المقدسة

١٤٣١هـ

تمهيد

ثقافة التأويل

القرآن كتاب الله تعالى المليء بالدلالات المتعددة التي تتناسب مع كونه كتاباً سماوياً، وقد أتفق المسلمون على ضرورة التأويل لبعض الآيات الكريمة، بأعتبار أن التأويل نوع من أنواع الدلالات، والمعاني، بل يتحتم التأويل ويصار إليه ويُلتزم به حينما نلاحظ تصادم المعنى الظاهري مع الثوابت العقلية أو الدينية، كقوله تعالى: (**يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ**) أو (**جَاءَ رَبُّكَ**)، فإنه تعالى ليس بجسم وبالتالي صار من المستحيل صرف المعاني الظاهرية عليه سبحانه وتعالى، ولهذا جاءت الروايات التي تؤول ذلك، والعقل يرى ضرورة مثل هذا التأويل، لأنه برهن على أستحالة كونه تعالى جسماً، وعليه فيجب ان نفهم أن التأويل هو نوع من أنواع المعرفة، وبالتالي لا داعي للتخوف من الثقافة التأويلية، أو أتهام من يقول به، أو الأعتقاد بأن من يقول بالتأويل هو من أهل الباطن، وأسقاط معتقداته وآرائه بأعتبار أنها باطنية، فهذا أمر غير صحيح وغير صحي في عالم المعرفة، لأن التأويل من جملة ما يتفاهم به العقلاء في محاوراتهم اليومية، ويتعاطاه الناس في أساليبهم الكلامية، بل راح الشعراء يتداولون التأويل والمعاني الباطنية في أشعارهم الشعبية فضلاً عن القريظ، وهو ما يدل على أن التأويل ثقافة تعاطها الناس في سالف الزمان أنظر على

سبيل المثال إلى بعض أبيات الشاعر المرحوم كاظم المنظور الكربلائي[1] وهو يصف أمير المؤمنين صلوات الله عليه:

يا نور يوسف چان متمسك بيه
ومن نطق الشاهد الراد ينجيه
ومن چان حاضر بالسجن ويسليه
ومن علمه يفسر الطيف وأسراره الخفية

ونظم قائلاً أيضاً:

كونلك الباري جسم — كل ضلع نافورة علم
أو كل مفصل ايخطط رسم — معجزة غامض أسرارك
أنت سر موسى وعصاته — أللي ضرب بيها البحر

نعم ينبغي أن لا نجازف في تأويل النص القرآني، ولا نقول بالأراء الشخصية، ولا نتمادى في صرف الدلالات بما يتناسب مع الوجهة المذهبية، كما حصل ذلك في العصور الماضية عند بعض أصحاب المذاهب المنحرفة، فإنهم ألتزموا ببعض الأفكار الضالة بذريعة التأويل، وهو أمر مرفوض، ولذا كان من الضروري جداً أن نضع الضوابط في هذا المجال كي لا نغامر ولا نجازف ولا نغالي.

---

[1] كاظم المنظور الكربلائي أبرز شعراء الشعر الشعبي ولد عام ١٨٩١م، وتوفي بكربلاء عام ١٩٧٤، وكان اميا؛ إلا أنه نظم الشعر الفريض والشعر الشعبي بكل أوزانه.

معنى التأويل

التأويل في أبسط عبارة هو تحديد مصداق ومعنى الآية الكريمة في الواقـــع الخـــارجي، فكان المعنى الخارجي هو الأصل الذي يلزم الرجوع والأنتهاء إليه، وهو معنى تأويل من آل يؤول، أي رجع إلى الاصل.

شرط التأويل

ونحن نعتقد أن التأويل للنص القرآني، لا يمكن أن يقوم به كل أحد واي شـــخص، بـــل نشترط ورود نص من المعصوم[1] عليه السلام في هذا الخصوص، وذلك لسببين:

١. لأن التأويل هو صرف الكلمة في غير معناها الظاهري المتبادر، وتحديد المعنـــى الجديد يحتاج إلى معونة وحيويه، وذلك لأننا بإزاء نص قرآني، وليس نصاً أدبياً فقـــط، وبلا شك فإن هذه المعونة الحيوية نجدها في أحاديث والروايات الشريفة الصادرة عـــن محمد وآل محمد صلوات الله عليهم حصراً، لأنهم أهل الله وخاصته وامناؤه على [illegible].

قال الإمام الرضا عليه السلام : لا تتأول كتاب الله عز وجل برأيك فإن الله عز وجل قد قـــال (**وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ**)[2].

---

[1] ورد في الحديث: فإن فينا أهل البيت في كل خلف عدولاً ينفون عنه تحريف الغالين **وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين**/ [illegible] ج١ ص١٤١.

[2] عيون أخبار الرضا ج١ ص١٩٢ ب١٤ ح١.

٢. ولأن فتح باب التأويل لكل من هب ودب سيجعل النص القرآني عرضه للأهـواء والأنحرافات، ويفتح باب الرأي كما حصل في مذهب السنة[١] وبالتـالي يـتم تحويـل القرآن إلى آله طيعة تخدم مصالح المذاهب، لما يقومون به من تأويل منحـرف يخـدم مصالحهم وآرائهم، يقول محمد إقبال: وإن كانت حركة الاشاعرة في جملتها لا غاية لها إلا الدفاع عن رأي أهل السنة بأسلحة من المنطق اليوناني[٢]، وقد فسروا القرآن الكريم وفق هذا المنطق اليوناني، وبالتالي يصادر المعنى السماوي الاصـيل وتحـل محلـه المعاني البشرية المنحرفة.

هدفنا من كتاب التأويل

وإنا في هذا الكتاب أريد أن أصل إلى حقائق قرآنية مغفول عنها، أنطمرت تحت غبـار السنين حول عظمة محمد وآل محمد، وبالخصوص حول الإمام المهـدي عليـه الـسلام وعجل الله فرجه الشريف، وهذه الحقائق هي من تأويل القرآن لا من تفسيره، وسـاعتمد على النصوص الروائية للمعصومين عليهم السلام في رسم معالم الفكرة الرئيسية، وهـو شرط التأويل كما ذكرنا، ويعود سبب غياب مثل هذه الأفكار إلى اسباب منها:

---

[١] قال أحمد أمين المصري: أن عمر بن الخطاب كان يحكم حكماً عربياً لا إسلامياً/ أنظر كتاب سائح في الشرق العربي ص٢٤ لأبي الحسن الندوي.

[٢] تجديد التفكير الديني في الإسلام، محمد إقبال ط سوريا ٢٠٠٨م ص٣٣.

١. الاستخدام المنحرف الذي قامت به بعض المذاهب العامية وبعض الجماعات المنحرفة للتأويل، مما جعل الناس تتخوف منه، خشية عودة الأنحراف إلى الحياة، وما ينجم عنه من كوارث فكرية وإجتماعية وسياسية.

٢. إنه من جملة العلوم غير الظاهرية، وغير المألوفة، بل غير مسموعة وبالتالي فالناس تقف موقف الحذر منها؛ لأن الناس أعداء ما جهلوا.

٣. يُعد التأويل من رتبة العلوم او العقائد الصعبة التي يحتاج إلى فهمها وهضمها إلى مستوى إيماني وفكري كبيرين، وهذا غير موجود بشكل عام، بل له ذوق خاص عند الخاصة فقط.

٤. السياسة الظالمة التي حكمت بالجور، فأقصت آل محمد صلوات الله عليهم عن مسرح الحياة، وأقصت ومنعت العلوم والحقائق المتصلة بهم عليهم السلام، وعملت على حرق الكتب وقتل الرواة، وملاحقة وكلاء الأئمة، والمبرزين من العلماء وإتهامهم بالغلو تارة والزندقة تارة اخرى، كل ذلك أدى إلى أنحسار ثقافة التأويل.

٥. وهناك هدف مهم وهو أشاعة التأويل الصحيح المرتبط بآل محمد ﷺ وبالإمام المهدي عليه السلام بوجه خاص، إذ سياتي الزمان في المستقبل بإناس يأولون هذه الآيات بتأويلات باطلة مما سول لهم الشيطان، فقد روي عن الصادق عليه السلام أنه قال: القائم عليه السلام

يلقي في حربه مالم يلق رسول الله ﷺ، إن رسول الله ﷺ أتاهم وهم يعبدون حجارة منقورة وخشباً منحوتة، وإن القائم يخرجون عليه فيتألون عليه كتـــاب الله ويقاتلونـــه عليه[1].

إذن هناك دجالون يعملون على تغيير تأويل الآيات، ووضع تاويل مخـــالف لعظمـــة آل محمد ﷺ وبالتالي صار لزاماً علينا أن نذكر الحق ليحيى من حي عن بينة.

وما يؤسف له أن حركة التأويل كثقافة عقائدية إلى اليوم تعاني من أنحسار، حتـــى فـــي داخل أجواء أهل العلم والفضل، وذلك مما بقي من رواسب الأسباب التي ذكرتها لك، وقد يكون لله تعالى حكمة في هذا الخصوص.

ونحن هنا في هذا الكتاب لدينا هدف واحد وهو بيان عظمة الإمام المعصوم من آل محمد صلوات الله عليهم لا سيما الإمام المهدي ﷺ، معتمدين النـــصوص التـــي ننطلـــق منهـــا ونعتمدها أصلاً مبتعدين عن أقوال الفلاسفة والمتكلمين[2]، ولا يضرنا أن كانـــت النتـــائج غير موافقة لهذا أو ذاك ما دام (إمامك عنك راضياً) كما قال ﷺ.

---

[1] الغيبة للنعماني ص٢٩٧ ح٣.

[2] قال الفيض الكاشاني: وأما طريقة المتكلمين وأهل الجدل والاجتهاد فحاشا أن تكون مصححة للأعتقاد أو اساسا لعبادة العباد، بل هي مما يقسي القلب ويبعد عن الله سبحانه وتعالى غاية الأبعاد وتربو به الشبه والشكوك وتزداد.. / الوافي ج١ ص١٢. ويقول نصر حامد أبو زيد عن علم الكلام عند اهل السنة: أن المتكلمين إذا حقق قولهم وكشف أمرهم مع من ينبغي أن يكشف ظهر أنهم أنما جعلوا الاله إنساناً أزلياً/ الخطاب والتأويل ص٤٩ ط٢ بيروت ٢٠٠٥.

وقد قمت بألقاء بعض بحوث هذا الكتاب على شكل محاضـــرات فـــي شـــهر رمـــضان المبارك على العادة التي مشينا عليها من الحديث حول إمامنا المهدي ﷺ في كـــل شـــهر رمضان، وحرصاً منا على نشر حديث المهدي بين الناس، لا سيما أمثال هذه المطالب، إذ لا يتسنى لكل الناس قراءة الكتب، وهي عادة شرقية سيئة.

لماذا التأويل:

ولعل البعض يسأل عن سبب القول بالتأويل والميل إليه، والأعتقاد به، بل نرى البعض قد يرفض التأويل رفضاً قاطعاً، متمسكاً بظواهر القرآن فحسب بحجة أن الظواهر حجة، وأن الله تعالى كلفنا بالظاهر فقط، وذهب بعضهم إلى ابعد من ذلك مدعياً أن التأويل من عمل الغلاة، أو المذاهب الباطنية!

وراحوا يقعون في أخطاء فظيعة بسبب الأفراط في الظواهر فقالوا بتجسيم الخالق سبحانه، وأنكار عصمة الرسل عليهم السلام، وغيرها من الأراء المنحرفة، ولعل الذي دفع بهم إلى هذا هو التطرف الصوفي الذي ابتدعته الصوفية حتى أنهم جعلوا الطريقة الصوفية لا تختلف عن النبوة!! فضلاً أن بعضهم أدعى الالوهية!.

فهذا التطرف والأنحراف في التأويل يدعو امثال ابن تيمية إلى أنكار التاويل.

ونحن علينا أن نقف في المنطقة الرمادية، فالتصوف بشتى اشكاله لا يمثل الإسلام وقد صدرت الروايات عن أهل البيت عليهم السلام في الأبتعاد عن الصوفية، وهكذا المذاهب الظاهرية المفرطة لا تمثل الإسلام؛ لأنها ألتزمت بعقائد شركية كالتجسيم والتصوير والتعطيل...، فالأصل هي الفرقة الوسطى كما في الروايات، أي التمسك بالظواهر بنسبة معينة لا تضر بالمعتقدات والأحكام العقلية السليمة، والتمسك بالتأويل بنسبة لا تُضر

بالإيمان، فالتأويل أن لا نخرج الأشياء عن حدودها المقررة؛ لأنه غلـــو، فالمعـــصوم لا يمكن فرضه إلهاً مهما يكن.

وأما لماذا جاءت ثقافة التأويل في النصوص القرآنية المقدسة، فلذلك أسباب نجملها بما يأتي:

١. أن بعض الحقائق القرآنية عميقة ودقيقة وصعبة، فلا يمكن أن يفهمها الناس بشكل عـــام، ولا هي من جملة التكليف الشرعي كي يلزم عليهم معرفتها، ولذا تم أخفائهـــا فـــي ظـــل الظواهر القرآنية، وتمت الاشارة إليها ببعض القرائن القرآنية، أو أستعمال الفاظ تختـــزل في عمقها الاشارة إلى ذلك المعنى الدقيق، ولا يلتفت إليه إلا من لطف ذوقه وكثر علمـــه وزيد في نوره من ربه، وقد دأب الحكماء على مثل هذه الطريقة، صيانة للعلم واسراره.

٢. إن ايراد وذكر هذه الحقائق بشكل ظاهر قد يعرض القـــرآن الكـــريم إلـــى اتهامـــات وسخريات من قبل الذين لا يفهمون، أو الذين في قلوبهم مرض، وقد ذكر ائمتنا علـــيهم السلام هذا المعنى في احاديثهم الشريفة.

ولذلك نرى أن القوم رفضوا المصحف الذي جمعه أمير المؤمنين علي عليه السلام ! وعملـــوا على جمع القرآن هم! مع زعمهم أنهم يعملون على صيانه القرآن من الضياع!

وما كان يميز مصحف علي ﷺ أنه ذكر فيه تاويل الأيات كما هو مشهور عند العلماء كافة.

٣. ان التنزيل يوجب رجوع الأمة إلى النبي ﷺ بأعتباره الأمين على وحيه سبحانه، والتأويل يوجب رجوع الأمة إلى الإمام المعصوم بأعتباره أميناً على كتاب الله تعالى، ولهذا قلنا لا يجوز الرأي في القرآن بل عد محرماً شرعاً، وهذا سر كون علي ﷺ قاتل على تأويل القرآن، بأعتباره الإمام الذي يلزم الرجوع إليه بعد النبي ﷺ.

وهذا سر أهتمام طائفة من العلماء بالأخبار والروايات وتعاهد جمعها في كتب مستقلة رائدة في الحفاظ على التراث المقدس، ومن أكبر الأخطاء محاولة التقليل من شأن هذه الخطوة المباركة، أو الهجوم عليها، كما صنع الشيخ مرتضى مطهري، حيث شبه محاولة الأخباريين في جمع الأخبار والأعتماد عليها بالفلسفة المادية الأوربية! وقوله أن الحركة الأخبارية كارثة على الحياة العلمية للشيعة![1]

ولا أدري كيف يسوّغ لنفسه ان يطلق مثل هذه الكلمات الخالية من الروح العلمية، والفاقدة لأدب الحوار العلمي والتجني على علماء الطائفة.

---

[1] أنظر كتابه مبدأ الأجتهاد في الإسلام.

ومهما يكن فالروايات التي صح صدورها عن المعصوم في تاويل الآيات القرآنية قد تتعدد في دلالاتها وسر ذلك ما شرحناه لك قبل قليل.

٤. وهو السبب الأهم، حيث كان ولا يزال التأويل الفيصل الذي يفصل جماعة المؤمنين عن المعاندين والمنافقين وأهل النصب والعداء، الذين يبطنون كفرهم، وذلك أن طبيعة المؤمن يُسلِّم أمره للنبي الأكرم ﷺ ويتمثل أوامره ويقبل تفسيره وتأويله، ظاهره وباطنه، ولا فرق عنده بين التفسير والتأويل، ما دام كله من الرسول الأكرم ﷺ، فله ﷺ أن يبين الحقائق القرآنية بطرق مختلفة، بينما المنافق يقبل بعض ويرفض بعض، ويؤمن ظاهرياً ببعض ما قاله الرسول، ويكفر بالبعض الأخر مما لا ينسجم وضلالاته وأنحرافاته، وعادة فالمنافق يرفض التأويل وذلك لأن الغالب على التأويل فضائل آل محمد ﷺ ، وهذا ما ينكره المنافق دوماً، ولقد أفصح القرآن الكريم عن هذه الحقيقة ببيان واضح في قوله تعالى: (**وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمْ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنْ الأَحْزَابِ مَنْ يُنكِرُ بَعْضَهُ**)[1].

لاحظ بدقة ان بعض الجماعات (الأحزاب) تنكر بعض الكتاب، وهم مسلمون بلا شك؛ لأن المشرك والكافر لا يؤمن بكل الكتاب سلفاً بل أنه لايؤمن بالنبوة مطلقاً، وعليه فالمراد من الذين ينكرون بعض الكتاب ولا يؤمنون به هم مسلمون منافقون، وهذا الذي ينكرونه هو

---

[1] الرعد ٣٦.

التأويل لا غير كما صرحت روايات الأئمة عليهم السلام؛ لأنه تأويل يخص آل محمد صلى الله عليه وآله أو يخص ولاية أمير المؤمنين علي عليه السلام[1].

إذن فهذا القرآن الكريم يخبرنا أن بعض المسلمين كانوا ينكرون بعض آياته ولا يعترفون بتفسير هذه الآيات فضلاً عن تأويلها، فأنظر إلى حجم الكارثة، بل أنظر إلى حقيقة المسلمين، ثم أن التدقيق والتدبر بالآيات القرآنية بمعونة الروايات يعطينا تصوراً أكثر وضوحاً عن امثال هؤلاء المنكرين فتأمل في قوله تعالى مثلاً: **(أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنْ الْحَقِّ وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمْ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ)**[2]، وهذه الآية نزلت في المؤمنين ظاهرياً الذين يبطونون النفاق، فأن الله تعالى شبههم بأهل الكتاب ووصفهم بالقاسية قلوبهم وأنهم فاسقون!![3].

ودليل فسقهم أنهم ينكرون بعض القرآن!، فأنظر بعد هذا إلى أهمية التأويل كي تدرك المغزى.

---

[1] أنظر تفسير نور الثقلين ج٢ص٥٠٨، والبرهان في تفسير القرآن.

[2] الحديد ١٦

[3] أنظر مجمع البيان في تفسير الآية.

حجية روايات التأويل:

وقد أعتمدت في الأستنتاجات العقائدية والفكرية على الروايات الشريفة، والروايات بدورها تعطينا تأويلات الآيات القرآنية، وأما اسانيد هذه الروايات فقد ذكرتها في بعض كتبي المطبوعة أنه ليس من الصحيح الاعتماد كلياً على اسانيد النصوص وذلك لوجود الأخطاء والأشتباه في علم الرجال، مما يؤثر على التوثيقات، ولذا قلنا بضرورة الأعتماد على المتون والنصوص نفسها، نعم وعلم الرجل قد يساعد في الجملة، ثم أننا ذكرنا روايات كثيرة يُعضد بعضها بعضاً ويقوي بعضها بعضاً، مما يؤكد أو يقوي صحة صدورها عن المعصومين عليهم السلام، فضلاً عن وجود القرآئن القوية أو الدلالات الموافقة للقرآن مما يعزز صحة الرواية.

التأويل مراد الله تعالى

علينا أن نعرف أن التأويلات القرآنية حقائق سماوية، وإن الإمام عليه السلام حينما يقوم بتأويل الآيات إنما يتحدث لنا عن المراد الإلهي، وهذا يعني أن الله تعالى تارة يوصل إلينا مراده عن طريق الظاهر، ومرة يوصل إلينا مراده عن طريق التأويل، وهذا يلزم علينا الاعتقاد بهذه التأويلات التزاماً عقائدياً ونذعن لها من باب التصديق والتسليم لله تعالى، وليس الأمر مجرد ترف فكري، وإنما إظهار حقيقة قرآنية إلى جانب الحقيقة القرآنية الظاهرة، ولأن هذا المراد الألهي يتصل عادة بعظمة محمد وآله محمد صلوات الله عليهم، فقد مال أهل الخلاف إلى رفض التأويل، بل وأسقاط الرواة الثقاة من قائمة المؤثقين بسبب رواياتهم في آل محمد صلى الله عليه وآله فافهم.

تقريب فكرة التأويل

وموضوع التأويل ليس غريباً في عالم الفكر والأدب، فقد ظهرت بعض الكتب والقصائد أو العبائر على غرار التأويل، وإن لم يكن اسمها (تأويل)، منها كتاب الحيوان، فأن الظاهر شيء مع أن القارئ يعلم أن لهذا النص معنى أخراً غير الظاهر، وجعل هذا الظاهر قنطرة وسبيل لفهم الباطن، أو التأويل، ومنها قصائد مجنون ليلى وجميل وغيرهما، ومنها بعض نصوص ملحمة كلكامش وكليلة ودمنة، فهذه الأمور قريبة جداً من طريقة التاويل فإذا كنت قد قبلتها فلم تستغرب التأويل اذن؟

ولنبسط لك القضية أكثر فالتأويل قريب من لغة الرمز، واللغة الرمزية موجودة في الأنجيل وجميع الكتب المقدسة، بل موجودة في النصوص القديمة للحضارات الماضية كالأغريق والرومان وسومر، ويعتقد إن الإنسان تعلم لغة الرمز من الديانات القديمة حتى قيل: (جذور الترميز فلسفية ولاهوتية أكثر منها أدبية، بل ربما كانت دينية أكثر من أي شيء أخر)[1].

وحتى هذا اليوم إذا تناولت الانجيل لرأيت فيه الترميز بشكل غالب، وصار عندك التأويل ضروري جداً لفتح هذه الرموز، وعليه فلسنا وحدنا في الوجود من يقول بالتأويل، وليست القضية قضية شيعية، وإنما قضية فكرية جذورها سماوية، تعاطها الأنبياء القدماء، ومنهم تعلمت الأمم هذه الطريقة، لصيانة العلم كما قال الإمام الهادي عليه السلام: (فلا تنثرن الدر بين أظلاف الخنازير)[2]، وهو من نصوص الحكمة كما لا يخفى، ثم أن هذه الطريقة التأويلية كانت وما زالت هي أحدى طرق الإصلاح الفكري والأجتماعي والسلوكي، لا سيما في الأجواء الضاغطة التي يشيع فيها الظلم، فيميل الحكماء إلى إصلاح الوضع من خلال التأويل أو الترميز أو التلويح وما عليك إلا أن تقرأ هذا العنوان:

---

[1] الترميز ص١٣ جون ماكوين ترجمة د. عبد الواحد لؤلؤة طبعة بغداد ١٩٩٠، وقد استعرض المؤلف العديد من النصوص الرمزية فراجعها.

[2] رجال الكشي ص٤٨٣ طبعة مؤسسة الإعلمي في كربلاء.

(فضل الكلاب على كثير من لبس الثياب)[1]، حتى يتأكد عندك مـــا نقـــول، أو تتـــصفح المسرحيات في الأدب الأنجليزي والروماني لتتيقن أن هدف المسرحية الإخلاقية كان هو الإصلاح ولكن تحت مفردات تأويلية.

من هذا وذاك كان التأويل طبيعة فكرية، ورافد سماوي يرفد العقول بمزيد من المعتقـــدات الحقة[2].

---

[1] لمؤلفه محمد بن المرزبان.

[2] انظر على سبيل المثال كتاب المذهب السري لكاتبه مدام بالفاتسكي التي كانت على حظ كبير من العلم بالرمزية القديمة.

التأويل في القرآن

ورد التأويل في القرآن الكريم بمعنى ما يؤول إليه الأمر المخبر به ويصير إليه، وهو المعنى الذي نريد التحدث عنه في هذا الكتاب، أنطلاقاً من هذا الأستعمال القرآني العظيم، جاء ذلك في قوله تعالى: **(وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ)**[1]، فإنه تعالى علَّمَ يوسف الصديق تعبير الرؤيا، واطلق عليه تأويل، لأنه يرجع ظواهر الأحاديث إلى حقائقها واصولها، فقد اول البقر السمان بالخير الوفير والبقر العجاف بالقحط، وهكذا أول يعقوب الكواكب بالأسباط، ولك أن تتصور كم هو البعد بين الظاهر والتأويل الذي قاله النبي وقد تحقق وأنطبق في الواقع، مما يعني أن التاويل القرآني بعيد عن العقول العادية، ولا تناله النفوس المتواضعة، بل هو من شأن النفوس العالية والعقول الأولى، كما قال تعالى: **(وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ)**[2].

وهكذا في قوله تعالى: **(هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ)**[3]، أي هل ينظرون يوم يأتي تحققه، فمثلاً مجيء سنين القحط على مصر هو يوم تأويله، وهكذا يوم خروج الإمام المهدي ﷺ هو يوم تأويله كما في الآية أعلاه، وهو معنى قولهم في تعريف التأويل: صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح لدليل يقترن به[4]، وتحديد هذا المعنى لا يكون إلا بمعونة وحيوية من قبل ائمة أهل البيت عليهم السلام.

كي يكون هذا التأويل مقبولاً مستوفياً لشرطه، وإلا يكون من تأويلات أهل الضلال وعلماء السوء وأصحاب الطينة الخبيثة، والنفوس السجينية.

---

[1] يوسف ٦.

[2] آل عمران ٧.

[3] الأعراف ٥٣.

[4] موسوعة الأديان الميسرة ص١٦٦ طبعة لبنان ٢٠٠٥م، ونغض الطرف عن تحفظنا على هذا التعريف كي لا نخرج عن صلب الموضوع.

وهذا التأويل في القرآن أعني ابتعاد المعنى الثاني عن عقولنا، وعدم قدرتنا على إدراك الحقائق الوحيوية إلا بوسيلة سماوية (وطريقها أحاديث الأئمة) هو الذي قال عنه الأئمة في العديد من أحاديث الكافي وغيره أنه لم يعرف القرآن كله إلا هم عليهم السلام، قال الإمام الباقر عليه السلام : "ما أدعى أحد من الناس انه جمع القرآن كله كما أنزل إلا كذاب، وما جمعه وحفظه كما نزله الله تعالى إلا علي بن أبي طالب عليه السلام والأئمة من بعده عليهم السلام"[1].

إذ المراد من هذا الجمع والحفظ هو تفسيراً وتأويلاً بحقائقه السماوية التي تبقى سراً عندهم عليهم السلام، وبعضه قد تم رفض تأويله من قبل بعض المسلمين كما هو مدون في كتب التاريخ بما لا يخفى.

ومما يلزم الألتفات إليه أنه قد تكون للآية الواحدة تأويلات متعددة، كما يظهر من روايات العترة الطاهرة، وهي صالحة للأستدلال ولا يوجد فيها أي تناقض كما قد يتوهم البعض، وذلك لأن كل تاويل يشير إلى حقيقة من الحقائق في رتبة معينة.

وهذا ما يفسر روايات متعددة في معنى الشجرة التي نهي أدم من الأكل منها، فقد روي أنها شجرة الحسد، وانها شجرة الكرم، وأنها شجرة معنوية وهو مقام العالين، وهكذا، فلكل معنى حقيقة في رتبة كونية يحفظ فيها سر الحكمة الإلهية، وعلى هذا الأساس يُنقض ما اشار إليه المرحوم عالم سبيط النيلي في بحثه الأصولي "ليس هناك من دليل واحد على تعددية التأويل في كل هذا الكم الهائل من التراث والخطاب الشرعي...."[2].

فهو كلام غير دقيق وبعيد عن الواقع العلمي، بل وتنتقض نظريته (قصدية اللغة) في الجملة وليس هنا محل بحثها.

---

[1] اصول الكافي ج1 ص١٣١ ح1 ط1 بيروت الأعلمي عام ٢٠٠٥م.

[2] البحث الأصولي ص٩٤.

ست قواعد في الحكمة لفهم كلام المعصوم ﷺ

القاعدة الأولى:

الإمام المعصوم ﷺ يجب عليه في الحكمة حفظ وجاهته في العرف، فيتكلم بما يفهم الناس عادة.

بل نراه ﷺ يأمر العلماء بالأبتعاد عن كل معرفة لا يعرفها الناس، لأن النفوس طبعت على قبول وهضم المقبولات؛ لذلك عرفت مجالس الأئمة ﷺ العامة بالأحاديث الواضحة المعروفة، وابتعادهم ﷺ عن كل حديث يسيء إلى وجاهتهم بين الناس، ولذلك نرى بعض الأئمة ﷺ قد تكلم عن حقائق واسرار كبيرة، ولكنه أدرجها في كلامه الظاهر، والبسها حلل القرائن الصارفة، وهي طريقة القرآن الكريم، وبهذا أمتاز تأويلهم للقرآن.

القاعدة الثانية:

المعصوم يتكلم بالطريقة التي لا يستوحش الناس منها، كي لا يختل نظام وظيفته وغرض تنصيبه.

إذ الغرض من نصب الإمام المعصوم ﷺ هو هداية الناس، وهذه هي وظيفة الإمام ﷺ وعليه أن يمتثل لهذه الوظيفة بالطريقة والأسلوب والكلمات التي لا تسبب وحشه الناس من طريقته، بل هو يتكلم بطريقة جذابة يميل الناس إليها عادة، حتى المخالفين له، كما هو مشهور فقد كان الخوارج يستمعون إلى خطب الإمام علي صلوات الله عليه، بشغف وكذا كان بعض أحفادهم يحضر مجلس الإمام الباقر ﷺ وهكذا بقية الإئمة عليهم السلام.

فالروايات التأويلية التي سنذكرها هي بعيدة عما يستوحش الناس منه،·وأما من كان ضعيفاً في عقله وأدبه وثقافته وعقائده فلا يعتد به وأن استوحش إذ الخلل فيه لا في النصوص.

القاعدة الثالثة:

المعصوم يتكلم بالطريقة التي لا يلزم منها تكذيبه.

فهو عليه السلام قد يخفف بعض المطالب الثقيلة والصعبة، بكلمات سهلة، أو يشبه المعقولات بالمحسوسات، حتى يظن الجاهل ان لا شيء يُذكر في الرواية فهي عنده عادية، بينما يلوح منها لأهل العلم وأهل الحكمة والعقيدة ذلك المطلب العلمي الثقيل، أو تلك العقيدة الغائرة في بطن الظاهر، لكنه عليه السلام أخفى ذلك كي لا يُكذب عليه السلام كالحديث عن المنظومات والعوالم والفضاء... لا سيما وهو عليه السلام يتحدث عن كل ذلك في مثل تلك العصور البدائية، والتأويل يدخل ضمن هذه القاعدة أيضاً، أي أن القرآن الكريم أتى على معاني سامية جداً لكنه تحدث عنها بطريقة لا يلزم منها تكذيبه.

القاعدة الرابعة:

المعصوم يذكر ما يطيق الرواي سماعه.

قد تندرج هذه القاعدة ضمن القاعدة الثانية، إلا أنني أفردتها، وذلك لأن الإمام عليه السلام قد يذكر أرقاماً معينة في رواية، ثم يذكر ارقاماً أو عدداً أخراً في رواية ثانية، فيذكر مثلاً أن العوالم سبعين عالماً، ثم يذكر في روايةأخرى أربعة عشر ألف عالماً وهكذا، وجميع هذه الأرقام صحيحة، لأن الإمام يذكر من جملتها ويذكر ما يطيق الراوي سماعه كي ينقل.

وعين هذا الأمر في بعض روايات التأويل فأن الأختلاف فيها يلاحظ وفق هذه القاعدة، كما قال الإمام الكاظم عليه السلام : "ولا تقل لما بلغك عنا أو نسب إلينا هذا باطل وان كنت تعرف خلافه، فأنك لا تدري لما قلناه وعلى أي وجه وصفناه...[1].

---

[1] رجال الكشي ص٣٨٦.

القاعدة الخامسة:

الإمام المعصوم يصوغ الحقائق بكلمات مقبولة عبر مئات السنين بما لا يستنكف الراوي أو الكاتب أو الخطيب من ذكرها أو تدوينها.

فروايات التأويل تم صياغتها بطريقة أعجازية كبقية أحاديثهم الشريفة، فإنها صالحة للتدوين لا يستنكف منها والعياذ بالله.

خلافاً لمن يرى في بعض روايات التأويل عيباً من نقلها أو أستنكافاً من ذكرها في الكتب مع شديد الأسف، وكلما تقدم العلم وتكامل العقل البشري صرنا أكثر تمسكاً بالموروث المقدس لآل محمد صلى الله عليه وآله.

لأن العلم قد يساعدنا احياناً في فهم وفك بعض الغموض فيها ونعلم أن الإمام عليه السلام قالها وهو ناظر لكل هذه المئات من السنين.

القاعدة السادسة:

حقائق التأويل في كلام المعصوم عليه السلام لها فاعلية التربية والتكميل والتغيير للنفوس والطبائع

وهذا هو هدف كتابنا هذا، فأن المعارف التأويلية تخلق عندك أحساساً جديداً، ونظرة جديدة، وتجعل عقيدتك متكاملة، وتشعر بتغيير في أفكارك عندها تتغير أطباعك وتخرج من عالم إلى عالم، فهكذا كلمات المعصوم عليه السلام تفعل فعلها وهذا الهدف الذي نبتغيه في جميع دروسنا العقائدية والفكرية، أن تعيش الحياة العقائديةالجديدة التي تنعكس على سلوكك ومنطقك وتصرفاتك.

وفي ختام هذا التمهيد أنوه إلى إن هذه البحوث تكميلية لبحوث كتابي فتح الفتوح، فمن اللازم الأطلاع عليه قبل قراءة هذا الكتاب.

السنبلة الأولى وفيها حبات

الحبة الأولى: مسخ قبل الظهور

في قوله تعالى: **(لَنُذِيقَنَّهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا)**[1]، قال الإمام الصادق عليه السلام: يكون الرجل في بيته.. وسط عياله ان شق أهله الجيوب عليه وصرخوا، فيقول الناس ما هـذا؟ فيقال: مسخ فلان الساعة، فقلت: قبل قيام القائم أو بعده؟ فقال: لا بل قبله[2].

هناك أحاديث تناقلها الشيعة والسنة سواء عن رسول الله صلى الله عليه وآله مفادها ومضمونها أن كل ما حصل في بني اسرائيل فأنه يحصل في هذه الأمة الإسلامية حذو القذة بالقذة والنعل بالنعل مثل قوله صلى الله عليه وآله : يكون في هذه كلما كان في الأمم السابقة حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة[3].

وعليك بالنظر في تفاسير المسلمين في تفسير قوله تعالى: **(لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ)** فأنك تجد العديد من الأحاديث الشريفة في هذا الخصوص.

ومنها قول النبي الأكرم صلى الله عليه وآله: لتركبن سنة من كان قبلكم حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة، ولا تخطؤن طريقتهم شبر بشبر وذراع بذراع وباع بباع حتى أن لو كان من قبلكم دخل جحر ضب لدخلتموه قالوا: اليهود والنصارى تعني يا رسول الله؟ قال صلى الله عليه وآله: فمن أعني؟ لينقض عرى الإسلام عروة عروة فيكون اول ما تنقضون من دينكم الإمامة وأخره الصلاة[4].

---

[1] حم السجدة ١٦.

[2] المحجة فيما نزل في القائم الحجة للبحراني.

[3] مقدمة تفسير مرآة الأنوار ص٣٣.

[4] تفسير القمي ج٢ص٤١٣.

فإن أطلاق مثل هذه النصوص الشريفة يشمل كل الحوادث الصغيرة والكبيرة، فكل ما حصل في بني أسرائيل حصل وسيحصل، نعم ليس من الضروري أن تكون الحوادث على نفس الصورة والشكل كما حصل سابقاً، فمثلاً رفع الطور فوق رؤوس بني اسرائيل لأجل تخويفهم، قد يتحول إلى مرض الطاعون؛ لأجل تخويف هذه الأمة سيكون وقعه اشد من الطور، وعبادة العجل ستكون صورته أختيار العجل العربي في سقيفة بني ساعدة، وهكذا فالمهم أن النبي ﷺ يقرر أصل القاعدة وهي أن ما حصل سيحصل بنفس الطريقة، أو بطريقة اخرى تتناسب مع حال هذه الأمة ومرحلتها التاريخية، ومن جملة ذلك موضوع المسخ الثابت حتى في القرآن الكريم، في قوله تعالى: **(وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ)**[1].

قال الإمام الكاظم عليه السلام: كانت القردة وهم اليهود الذين أعتدوا في السبت فمسخهم الله قروداً[2].

فهذه واحدة من العقوبات الالهية في الأمة الأسرائيلية، ثم وفقاً للحديث المتفق عليه بين المسلمين أن مثل هذه العقوبة ستكون في هذه الأمة، وقد أخبر الإمام الصادق عليه السلام في الرواية السابقة، أن هذا سيحصل قبل ظهور الإمام المهدي، ولعل هذا هو هدف ذكر ذلك في القرآن، بمعنى أن الله تعالى خوف المسلمين وهددهم بالعقوبات كما حصلت في الأمم السابقة فيما إذا فعلوا كافعالهم، وهي ظاهرة في بدايات الآيات التي تبدأ بـ **(لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ...)**.

ثم أن عقوبة المسخ هذه هي عقوبة دنيوية فقط ويتلوها عذاب الأخرة، فهي من أجل الخزي والنكال بهم، وهو جزء من مقدمات أنتصار الإمام المهدي عليه السلام ، فإنه سينتصر بوسائل وطرق عديدة، وهذه واحدة منها، ولعل هذه العقوبة تحصل في جزء من المنكرين

---

[1] البقرة ٦٥.

[2] تفسير البرهان ج١ ص١٠٥ ح٦.

لظهوره من المسلمين؛ لأن عقوبة المسخ حصلت في اليهود الذين وحدوا الله تعالى لا في الملحدين.

ثم أن هذه الرواية تفتح لنا باباً من العلم، فيمكن أن يكون المسخ حاصلاً الأن فعلاً ولكن بشكل آخر، وذلك بمسخ قلوب بعض الناس وحصيرورتها قلوب الخنازير والقرود، فتكون نفوسهم نفوس حيوانية وملكاتهم على غرار غرائز الحيوان، وطبائعهم تميل إلى افعال الحيوانات.

ومن ذلك أن رسول الله ﷺ رأى في منامه بني أمية على هيئة القرود يصعدون على منبره، فإن هذه اشكالهم الباطنية المعهودة عند الله وملائكته، ولذلك كان يزيد لعنه الله مولعاً بحب القرود.

ويمكن تسمية هذا المسخ المعنوي وهو الموت المعنوي تماماً كما في القرآن الكريم، فقد أطلق الموت على الجاهل بأمور الولاية لآل محمد ﷺ ، والفاقد لشرائط الإيمان وصحة العقائد، والكافر بالولاية، وكذا ورد تاويل الميتة بهم، ففي تفسير العياشي عن الإمام الباقر ﷺ في قوله تعالى: **(أَوَمَنْ كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ)**، قال ﷺ: الميت الذي لا يعرف هذا الأمرونوراً أي إماماً يأتم به يعني علي بن أبي طالب ﷺ ، فقيل قوله: **(كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا)**؟ فقال: بيده هكذا هذا الخلق الذي لا يعرفون شيئاً من هذا الشأن[1].

وفي تفسير آخر عن الباقر ﷺ، في قوله تعالى: **(أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ)** قال: يعني كفار غير مؤمنين[2].

---

[1] مقدمة تفسير مرآة الأنوار ص٢٩٨ لأبي الحسن الشريف ط قم.

[2] المصدر نفسه.

فالذين ينكرون ولاية آل محمد ﷺ مسوخ هذه الأمة معنوياً، أي أن صورهم في اللـــوح والعرش قردة وخنازير وحمير كما قال الإمام الكاظم عليه السلام لعلي بن أبي حمـــزة البطـــائني الواقفي: أنت واصحابك شبه الحمير[1]، وفي بعض النصوص أنهم حمير، وكما قال الإمام الهادي عليه السلام: ... ولولا محمد رسول الله ﷺ والأوصياء من بعده لكنتم حيارى كالبهائم لا تعرفون فرضا من الفرائض...[2].

فالإنسان الجاهل كالميت، والجاهل المنكر للحق كالبهيمة كما وصفه الله تعالى بأنه أتعـــس حالاً من البهيمة: (**إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ**) فهذا مسخ معنوي، ولكـــن لا نـــستبعد حصول المسخ الحقيقي الظاهري وهو أنقلاب الصورة البشرية، ثمة روايات أخبرت عن حصوله في بعض بني امية وليس هذا مجال تفصيلها، بل روي أهل السنة عن عائشة قول النبي: يكون في أخر هذه الأمة خسف ومسخ وقذف، فقالت: أنهلك وفينا صالحون؟ قـــال: نعم[3].

وفي هذه الحبة عبرة لكل الناس وهي وجوب تلقي العلم وتحـــصيل الحكمـــة والمعرفـــة، والأطلاع على شؤون الولاية المقدسة لآل محمد ﷺ والتخلص من ظلمات الجهل، ونزع ثياب البهيمية، أو التخلص من مقدمات المسخ بالتحصيل العلمي.

وهي من وظائف الإنسان في أيام الغيبة الكبرى كي يشتد ويقوى قلبه في التمسك بالإمـــام المهدي، ويثبت بالعلم والمعرفة على القول بإمامة المهدي عليه السلام فلا ينحرف.

---

[1] رجال الكشي ص٣٤٥.

[2] المصدر نفسه ص٤٨٣.

[3] ينابيع المودة للقندوزي ج٢ باب٨٠ ص٤٧١ طبعة أسطنبول عام ١٣٠١هـ.

الحبة الثانية: عقوبات قبل الظهور

قال تعالى: (**كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا**)[1]، قال الإمام الصادق عليه السلام: ثمود رهط من الشيعة، فإن الله سبحانه وتعالى يقول:(**وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ**) فهو السيف إذا قام القائم عليه السلام[2].

وهذا أيضاً من التأويل العجيب فإن الإمام عليه السلام يقول لنا: عن بعض الجماعات المنتمية للتشيع ستنحرف وتصاب بمرض الأنكار للإمام المهدي عليه السلام وتتسم بنفس الخصائص التي أتصفت بها ثمود من الأستكبار والاستعلاء وأنكار الحقائق والمعجزات، ثم يختم أمر هؤلاء بالقتل والنسف والعذاب، ويظهر من النصوص أن ظهور ثمود على مسرح الحياة الشيعية بدا أولاً بظهور الواقفية، الذين وقفوا على إمامة الكاظم عليه السلام وأنكروا إمامه الرضا عليه السلام وفعلاً فقد قتل زعماء هذه الفرقة كلهم.

ويظهر أيضاً أن في كل زمن تظهر جماعة على غرار ثمود حتى قبل الظهور المبارك، وسبب هذا التأويل، ان ثمود كانوا قد عاشوا الآية الكبرى، وهي المعجزة التي قام بها النبي صالح عليه السلام، فأخرج لهم ناقة من الجبل، حتى أنها عاشت معهم وكانوا يشاهدون أعجزاها يومياً، ومع ذلك كله قتلوها أستكباراً من عند أنفسهم، وهكذا ثمود الشيعة فإنهم جماعات يعرفون الحق تماماً، ولكنهم يرغبون في أنكاره بل يسعون لخلق الشكوك في قلوب الناس، كما قال الصادق عليه السلام: فيكم ذلك اليوم –خروج المهدي– إنكاراً شديداً..[3].

فهم يعلمون في قرارة أنفسهم بأمر المهدي عليه السلام إلا أنهم يتفنون في أنكار ظهوره بذرائع شتى واساليب قد تنطلي على بعض الناس، ويشيعون ثقافة الشك والأعتراض بحجة

---

[1] الشمس ١١.

[2] البرهان ج٤ ص١٠٨.

[3] رجال الكشي ص١٢٧.

السؤال أو التعلم، ويعلمون أتباعهم ثقافة السخرية والأستهزاء ببعض مـــا يتـــصل بـــأمر المهدي عليه السلام بذريعة محاربة التقاليد وما إلى ذلك.

يقول الإمام الرضا عليه السلام: نحن أشهر معلومات فلا جدال فينا، ولا رفث ولا فسوق فينا..[1].

وفي بعض الروايات أن أمر المهدي أبين من الشمس في رابعة النهار، فلا يحتـــاج إلـــى جدال وأثارات واستبعادات، فهو عليه السلام كبقية الأنبياء والأوصياء الذين غـــابوا عـــن أممهـــم وسيظهر بعد أذن الله له.

نعم يحق للمؤمن السؤال عن تفاصيل أمر المهدي عليه السلام ولكن سؤال لاجل التعلم لا التعنـــت والأنكار؛ لأنه يجعلك من مصاديق ثمود رهط من الشيعة.

---

[1] رجال الكشي ص٣٩٢.

الحبة الثالثة: عجول قبل الظهور!

قال الإمام الصادق عليه السلام لرجل من الزيدية وقد أتخذوا هارون بن سعد الزيدي رئيساً لهم، وكان الإمام عليه السلام يقول عنه رأس العجيلة، فقال الصادق عليه السلام لهذا الرجل وقد تلا عليه قوله: (**إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**) وإنما هو الزيدي حقاً[1]، فقد أول الإمام العجل بهذا الرجل الضال، وقد روي تأويل عبادة العجل في الأمة الاسرائيلية، ببيعة الأول في سقيفة بني ساعدة،"فيظهر من هذه الروايات وهذه الطريقة في التأويل أن مفهوم العجل ذو مراتب متعددة شدة وضعفاً ويستمر في الظهور في كل رأس ضلالة ينصب نفسه إماماً مقابل ائمة الحق عليهم السلام، ليضل الناس عن دينهم، وتحدثنا النصوص أن المستقبل سينكف عن ظهور مجموعة من العجول الضالة المضله حتى قال الإمام المهدي عليه السلام: ولترفعن أثنتا عشرة راية مشتبهة لا يعرف أي من اي[2].

واسباب ظهور هذه العجول يجمعها سبب واحد وهو حب الدنيا والتعلق بها والرغبة في الظهور والشهرة والهيمنة وكسب الأموال، إلا إنهم يدجنون ذلك بالشعارات الدينية المذهبية، أو بعض الشعارات السياسية البراقة كالحرية والتحرير والتمهيد، قال الإمام الصادق عليه السلام: من خرج يدعو الناس وفيهم من هو أفضل منه فهو ضال مبتدع، ومن أدعى الإمامة من الله وليس بإمام فهو كافر[3].

إذن فسنشهد قبل الظهور المبارك عدة شخصيات تدعي المهدوية علناً أو بشكل مغلف، وهذه العجول ستولّد المزيد من الأرباك والأضطراب في صفوف الجهال والبسطاء، وتزداد حيرتهم أكثر، فينحرف العديد من هؤلاء الذين لم تكتمل معارفهم، ولم يرسخ

---

[1] رجال الكشي ص٢٠١، وقوله عليه السلام هو الزيدي يقصد أنه راس العجيلة، ولعل تسميته بهذا الاسم أنهم كانوا يستعجلون الأمر مع ان الله تعالى أمر بتأجيله إلى ظهور الإمام المهدي عليه السلام

[2] غيبة النعماني باب ١٠ ص١٥٣ ح٩.

[3] المصدر نفسه باب ٥ص١١٦ ح١٣.

يقينهم، ولم يزدد أيمانهم، حتى قال عليه السلام: فيهم التمييز وفيهم التمحيص، وفيهم التبديل، يأتي عليهم سنون تفنيهم، وسيف يقتلهم، وأختلاف يبددهم[1].

قال الشيخ الجليل ابي عبد الله محمد بن أبراهيم المعروف بـ (أبي زينب النعماني) مؤلف كتاب الغيبة المتوفي سنة ٣٦٠هـ:

أي حيرة أعظم من هذه الحيرة التي أخرجت من هذا الأمر الخلق الكثير والجم الغفير ولم يبق عليه ممن كان فيه إلا النزر اليسير وذلك لشك الناس، وضعف يقينهم، وقلة ثباتهم على صعوبة ما ابتلي به المخلصون الصابرون الثابتون والراسخون في علم آل محمد ﷺ الراوون لأحاديثهم هذه...[2].

فأحذر أن تتابع العجول ولا تتأثر بأسمائها الكبيرة وقواعدها العريضة.

---

[1] المصدر السابق باب ١٢ ص٢١١ ح٤.

[2] المصدر باب١٠ ,ص١٩٢.

الحبة الرابعة: مرجئية الشيعة

عن الحسن الوشا عن بعض الأصحاب عن أبي عبد الله ﷺ قال: قال لي أبو عبد الله ﷺ: شهدت جنازة عبد الله بن ابي يعفور؟ قلت: نعم، وكان فيها ناس كثير، قال ﷺ: أما أنك سترى فيها من مرجئية الشيعة كثيراً[1].

وهنا علينا أن نبين عدة أمور:

الأول: من هو عبد الله بن أبي يعفور؟

هو من المقربين جداً عند الإمام الصادق ﷺ حتى قال عنه: ما أحد أدى إلينا ما أفترض الله عليه فينا إلا عبد الله ابن أبي يعفور[2].

وسر هذا القرب والأهتمام هو أن هذا الراوي العظيم أتصف بالتسليم الخالص حتى أنه قال للإمام يوماً: والله لو فلقت رمانة نصفين فقلت هذا حرام وهذا حلال لشهدتُ أن الذي قلت حلال حلال وان الذي قلت حرام حرام، فقال ﷺ: رحمك الله رحمك الله[3].

الثاني: ما هي المرجئية؟

مذهب ديني ظهر في أيام الدولة الأموية، وهو خليط من افكار الخوارج والمعتزلة والاشاعرة يعتقدون:

١. أن المعصية لا تضر بالإيمان، فحتى مرتكب الكبائر مؤمن ولا يجوز الحكم عليه بشيء، بل يرجئ أمره إلى الله تعالى، أي أن الاصل طهارة القلب ولا تاثير لأعمال الجوارح مطلقاً وأن كانت كبائر!

---

[1] رجال الكشي ص٢١٣.

[2] المصدر نفسه ص٢١٥.

[3] المصدر نفسه ص٢١٥.

٢. إن الله تعالى لا يعاقب على المعاصي في الدنيا.

٣. الإيمان هو عبارة عن قول بلا عمل، فليس ضرورياً ان يطابق عملك أقوالك.

٤. إن الإنسان مجبر في حياته، وأن الله تعالى هو قدّر كل شيء على الإنسان[١]، فضلاً عن إنكارهم الإمامة لأهل البيت عليهم السلام، ومثل هذه الأفكار ترضي الحكام الجائرين، وأهل الظلم والأستبداد؛ لأنها تفسح لهم المجال للمزيد من الأستعلاء وقتل الأبرياء وسرقة الأموال، ولهذا وقفت الدولة الأموية داعمة لهذا المذهب، حتى قال بعض المؤرخين أن مذهب الأرجاء صنيعة أموية.

وهو ليس ببعيد، فقد تم كتابة التوحيد على غرار هذه الأفكار الضالة وهو اليوم يدرس في مدارسهم وجامعاتهم.

يقول الشيخ بهجة البيطار: حدثني بعض علماء الأزهر، قالوا: درسنا كتب التوحيد في الأزهر فنشأت في نفوسنا شكوك وشبهات وكدنا نخرج من الإسلام![٢].

وقال محمد الغزالي وهو خريج الأزهر: أن الثقافة الدينية في الازهر ضعيفة وضيقة.. وهي علوم اللغة والفلسفة التي دونت وتكونت في العصر العباسي![٣].

وقال أحمد أمين المصري: أن الأزهر يتزعم الحركة الرجعية[٤]، فها هي مدارسهم العصرية التي يدرسون فيها إذن.

---

[١] لمزيد من التفصيل راجع ضحى الإسلام ج٣ لأحمد أمين وكذلك الشيعة بين الاشاعرة والمعتزلة هاشم معروف الحسيني.
وكانت كلمة المرجئة في عصور الأئمة عليهم السلام تطلق ويراد منها مطلق أهل الخلاف في قبال الشيعة، وكان أبو حنيفة وتلميذه أبو يوسف في طليعة المرجئة.

[٢] [٣] [٤] انظر كتاب مذكرات سائح في الشرق العربي/ ابو الحسن الندوي، مؤسسة الرسالة ط٣ عام ١٩٨٣، أنظر الصفحات التالية ص٢٦٩ و ص٧١ و ص٤٣.

الثالث: يظهر من الحديث أن هذه الأفكار المرجئية قد ظهرت في ذلك الزمان، ويظهر من روايات أخرى أن الأفكار المرجئية ستبقى حتى ظهور الإمام المهدي ﷺ، ولعلنا نرى اليوم بعض هذه الأفكار عند بعض الناس ولو بنسبة ضئيلة، إلا أنه قد تتفاقم في المستقبل، وهذا يعني إن بعض الأفكار العامية تسربت من أهل الضلال إلى بعض الشيعة، بسبب جهلهم وأبتعادهم عن العلم، فنجد بعضهم يقول ويلتزم بأفكار الاشاعرة أو المعتزلة أو حتى الخوارج، وهو منتسب إلى التشيع، مما سيؤثر سلباً على عقائدهم أتجاه الإمام المهدي ﷺ، وهذا يحتم علينا أن نسوّق أكبر قدر ممكن من الثقافة والعقائد الشيعية الموجودة في الروايات الشريفة، وندعوا الناس إلى وجوب تحصيل العلم؛ لمواجهة الأفكار المرجئية التي قد تتولد في الوسط الشيعي لأسباب سياسية ونفسية واجتماعية وجاهلية ايضاً، والتي ستؤدي إلى ضعف في حماسة الانتظار لأمامنا المهدي عند بعض الناس.

فتتسرب الأفكار المرجئية إلى بعض الشيعة وأن كانت هذه الأفكار والعقائد من أبتكاراتهم، ومما توصلوا إليه بأنفسهم من باب الفهم الخاطئ للنصوص الشريفة، كقول بعض العوام أن الأصل طهارة قلب الإنسان وحبه لأهل البيت ﷺ ولا يضر مع ذلك أرتكاب المعاصي، والعيش في جهل مطبق، ومخالفة السنن أتكالاً على ولاية أهل البيت ﷺ مما نهت الأحاديث الشريفة عن مثل هذه الظاهرة.

فيبدوا أن أمثال هذه الأفكار الخاطئة والعقائد الفاسدة تتنامى مما يؤدي ببعض الناس إلى ظاهرة اليأس وتأخير أمر الظهور، ومعلوم أن أبرز ما يميز المرجئة هو التأخير، فإن بعض الشيعة سيرون أمر المهدي ﷺ متأخراً وأنه لا يظهر، حتى إذا ظهر فعلاً أنكروه ولم يؤمنوا به.

وقد حذر الأئمة ﷺ شيعتهم من أفكار المرجئة كثيراً بل صدر اللعن منهم في حق المرجئة، فقد ذكرت المرجئة والقدرية والحرورية عند الإمام الصادق ﷺ، فقال:

لعن الله تلك الملل الكافرة المشركة التي لا تعبد الله على شيء[1].

وقال الإمام الباقر عليه السلام وقد ذكرتْ عنده المرجئة، فقال: ويح هذه المرجئة إلى من يلجؤون غداً إن قام قائمنا...[2].

وفي بعض الروايات أن افكار المرجئة تعشعش بالكوفة قبل الظهور، حتى يخرج الإمام فيقاتلونه وقد كانوا يقولون بإمامته من قبل ثم ينكرونه فيقتلهم المهدي[3].

ولعل هؤلاء ينتحلون حب أهل البيت كذباً ويتظاهرون بالتشيع ولكنهم عند الأبتلاء ينكشفون على حقيقتهم، وهذا معنى قول الإمام الباقر عليه السلام: لو قد قام قائمنا بدأ بالذين ينتحلون حبنا فيضرب أعناقهم[4].

وقول الإمام الصادق: لو قام قائمنا بدأ بكذابي الشيعة فقتلهم[5].

وإليك هذه الرواية التي يظهر منها النتيجة الحقيقية للمرجئة، ولكل من حمل أفكارهم، عن أمير المؤمنين عليه السلام: يحشر المرجئة عمياناً وإمامهم أعمى فيقول بعض من يراهم من غير أمتنا ما نرى أمة محمد إلا عمياناً، فيقال لهم: ليسوا من أمة محمد صلى الله عليه وآله، إنهم بدلوا فبدل بهم وغيروا فغير ما بهم[6].

فليحذر الذين يميلون مع الأفكار العامية التي يمليها عليهم الشيطان.

---

(1) الكافي ج٢ص٤٠٩ ح٢.

(2) غيبة النعماني ص٢٨٣.

(3) تفسير العياشي ج٢ ص٥٩.

(4) معجم أحاديث الأمام المهدي ج٣ ص٣٠٤ ح٨٤٢.

(5) رجال الكشي ص٢٩٩.

(6) البحار ج٢٧ ص٢٣٥.

السنبلة الثانية

الحبة الأولى: سير الإمام المهدي في العوالم.

(وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّاماً آمِنِينَ)[1].

علينا في زمن الغيبة الكبرى أن لا نتصور الإمام المهدي عليه السلام قد أنزوى في ركن من أركان الحياة، قد تفرغ لعبادة ربه سبحانه، أو أنه يمارس بعض الأعمال على سبيل أغاثة الملهوفين وما اشبه ذلك، فإن مثل هذا التصور لا يتناسب مع حجم الإمام المهدي عليه السلام، فإنه إمام من قبل الله تعالى وهذا يعني أنه يمثل ارادة رب العالمين، فهل أن ارادته معطله؟ وهو يمثل هيئة الفعل الالهي وهل أن فعله سبحانه لا أثر له؟ وهو يمثل السفارة الألهية، فهل أن الله تعالى قد جمد نشاطات السفير؟ وهو يمثل مشيئة الله تعالى، فهل أن مشيئته خالية من الأوامر والنواهي؟

إذن يتحتم علينا أن نخلق تصورات جديدة حول حركة الإمام المهدي، فالغيبة الكبرى تعني أنه يتحرك في افق أخر، ومساحة غير ملاحظة، ويتواصل مع عوالم أخرى ومعنا أيضاً بطرق خفية لم نأنس بها، ولم يتوصل إليها العقل بعد، وهذه الرؤية مستوحاة من الروايات الشريفة للأئمة عليهم السلام ومنها:

قال الإمام الصادق عليه السلام: "وما من ليلة تأتي علينا إلا وأخبار كل أرض عندنا وما يحدث فيها وما من ارض من ستة ارضين إلى سبعة إلا ونحن نؤتى بخبرهم"[2].

---

[1] سبأ ١٨.

[2] المعالم الزلفى للبحراني الباب ٢٧.

لاحظ بدقة قوله ﷺ: نؤتى بخبرهم، وهو عام يشمل كل الأئمة ﷺ وعمومه يشمل كل الأخبار أيضاً، ومنه يظهر عظمة عقل المعصوم وقدرته الخارقة لاستيعاب كل ذلك دون كلل في كل ليلة! فهذا حال إمامنا المهدي ﷺ.

وقال الصادق ﷺ بسند صحيح: "يسير عالم المدينة في ساعة من النهار مسيرة الشمس سنة حتى يقطع اثني عشر الف عالم، مثل عالمكم هذا، ما يعلمون أن الله تعالى خلق آدم ولا أبليس"[1].

وقال الإمام السجاد ﷺ: "هل أدلك على رجل قد مر منذ دخلت علينا في اربعة عشر عالماً كل عالم أكبر من الدنيا ثلاث مرات، لم يتحرك من مكانه؟ فقال السائل: ومن هو؟ قال ﷺ: أنا"[2].

وقال ابي جعفر ﷺ: "أني لاعرف رجلاً بالمدينة له حمار يركبه فيأتي المشرق والمغرب في ليلة"[3]، يعني نفسه ﷺ.

وهذه الروايات تعطينا أفاقاً رحبة في ظل فهم الإمام المعصوم لا سيما إمام زماننا عجل الله فرجه الشريف، فإنه يمارس دور إمامته في العوالم كلها، دور الحجية وإتمام التربية وتكميل النفوس وبث النعمة ونصر الدين، .... ألخ.

روي عن سلمان الفارسي أنه قال لأمير المؤمنين ﷺ بعد موت عمر بن الخطاب:

يا امير المؤمنين أني حزين من فوت رسول الله ﷺ إلى هذا اليوم وأريد أن تروحني حتى هذا اليوم وتريني من كراماتك ما يزيل عني هذا الغم، فقال ﷺ: عليّ بالبغلتين اللتين من رسول الله ﷺ، فلما أتى بهما ركب هو واحدة وركب سلمان الأخرى.

---

[1] الاختصاص ص٣١٩.

[2] الأختصاص ص٣٢٠

[3] الاختصاص ص٣١٥ طبعة قم ١٩٨٢ مكتبة الزهراء.

قال سلمان: فلما خرجنا من المدينة وإذا لكل بغلة جناحان فطارا في الهواء وارتفعا فتعجبت غاية العجب، فقال لي: يا سلمان أنظر هل ترى المدينة، فقلت: أما المدينة فلا ولكن أرى آثار الأرض، فأشار إلى البغلتين فأرتفعتا في الجو لحظة، فنظرت فلم أر شيئاً في الأرض، وإذا أنا أسمع اصوات التسبيح والتهليل، فقلت يا أمير المؤمنين: الله أكبر انه ها هنا لبلاد قد وصلنا إليها؟ فقال يا سلمان: هذه أصوات الملائكة بالتسبيح والتهليل وهذه السماء الدنيا فقد وصلنا إليها، فأشار إلى البغلتين وحرك شفتيه فانحطتا طائرتين نحو الأرض فكان وقوعهما على بحر عريض كثير الأمواج كأن أمواجه الجبال، فنظر إلى ذلك البحر مولانا أمير المؤمنين فسكنت أمواجه فنزل عليه السلام ومشى على وجه الماء، ونزلت أنا والبغلتان تمشيان خلفنا، فلما خرجنا من ذلك البحر وإذا هو تتلاطم أمواجه كهيئة الأولى، فقلت يا أمير المؤمنين: ما هذا البحر؟

فقال عليه السلام: هذا هو البحر الذي أغرق الله فيه فرعون وقومه فهو يضطرب خوفاً من الله تعالى من ذلك اليوم إلى يوم القيامة، فلما نظرت إليه خاف مني فسكن، وهاهو رجع إلى حالته الأولى، قال سلمان: فلما خرجنا من ذلك البحر ومشينا رأيت جداراً أبيضاً مرتفعاً في الهواء ليس يدرك أوله ولا أخره، فلما قربنا إليه و إذا هو جدار من ياقوت أو نحوه، فإذا بباب عظيم فلما دنى منه أمير المؤمنين عليه السلام أنفتح فدخلنا فرأيت اشجاراً وأنهاراً وبيوتا ومنازل عالية فوقها غرف، وإذا في تلك البستان أنهار من خمر، وأنهار من لبن، وأنهار من عسل، وإذا فيها أولاد وبنات وكل ما وصفه الله تعالى في الجنة على لسان نبيه صلى الله عليه وآله رأيته فيها فرأيت أولاداً وبناتاً أقبلوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام يقبلون أياديه وأقدامه، فجلس على كرسي ووقف الأولاد والبنات حوله، فقالوا: يا أمير المؤمنين ما هذا الهجران الذي هجرتنا؟ هذه سبعة أيام ما رأيناك فيها يا أمير المؤمنين، فقلت: يا أمير المؤمنين ما هذه المنازل في هذا المكان؟ فقال: يا سلمان هذه منازل شيعتنا بعد الموت تريد يا سلمان أن تنظر إلى منزلك؟ فقلت: نعم، فأمر ولداً وأخذني إلى منزل عال مبني من الياقوت والزبرجد واللؤلؤ فيه كلما تشتهيه الأنفس فأخذت رمانة من ثماره وأتيت إليه.

فقلت: يا أمير المؤمنين هذا منزلي ولا أخرج منه، فقال: يا سلمان هذا منزلك بعد الموت، وهذه منازل شيعتنا بعد الموت، وهذه جنة الدنيا تاتي إليها شيعتنا بعد الموت فيتنعمون بها إلى يوم القيامة، حتى ينتقلوا عنها إلى جنة الأخرة.

فقال: يا سلمان تعال حتى نخرج، فلما خرج ﷺ ودعه أهل تلك الجنة فخرجنا فأنغلق الباب فمشينا، فقال لي: يا سلمان أتحب أن اريك صاحبك؟ فقلت: نعم، فحرك شفتيه فرأيت ملائكة غلاظاً شداداً يأتون برجل قد جعلوا في عنقه سلاسل الحديد والنار تخرج من منخريه وحلقه إلى عنان السماء، والدخان قد أحاط بتلك البرية وملائكة خلفه تضربه حتى يمشي ولسانه خارج من حلقه من شدة العطش، فلما قرب إلينا، قال لي: اتعرفه؟ فنظرته وإذا هو عمر بن الخطاب.

فقال: يا أمير المؤمنين أغثني فأنا عشطان معذب، فقال أمير المؤمنين ﷺ: ضاعفوا عليه العذاب، فرايت السلاسل تضاعفت والملائكة والنيران تضاعفت فأخذوه ذليلاً صاغراً، فقال: يا سلمان هذا عمر بن الخطاب، وهذا حاله فإنه ما من يوم يمضي من يوم موته إلى هذا اليوم إلا وتأتي الملائكة به وتعرضه عليَّ فأقول لهم ضاعفوا عذابه فيتضاعف عليه العذاب إلى يوم القيامة.

قال سلمان: فركبنا، فقال لي: غمض عينيك يا سلمان، فغمضت عيني، فقال لي: افتحها، وإذا أنا بباب المدينة، فقال يا سلمان مضى من النهار سبع ساعات، وطفنا في هذا اليوم البراري والقفار والبحار وكل الدنيا وما فيها[1].

فهذه الرواية دالة بصراحة أن الإمام المعصوم له سير وتجوال حقيقي في العوالم، ولعل أمثال هذه الروايات قبل ١٠٠ عام كانت تعد من الصعب استيعابها والتصديق بها، بل قد ينكرها البعض بسبب الوضع العام، أما الأن فبعد تحقق أنجازات علمية كبيرة في المجال التكنولوجي صار من السهل قبول هذه الروايات لا سيما في العصور القادمة التي سيحقق

---

[1] الأنوار النعمانية ج٤ ص٢٣٨ طبعة لبنان الأعلمي.

العلم قفزات أكبر في مجال الاتصالات العالمي، والنقل السريع بما يسمح له أن تعد هـذه الرواية من القرائن الصالحة للوصول إلى عوالم أخرى.

ففي قصة ابي جعفر المنصور وأحضاره السحرة ليهزأ بالإمام الـصادق عليه السلام، فقـال لهم:

ويلكم أنا الذي ابطلت سحر أبائكم ايام موسى وانا أبطل سحركم[1].

فإن هذا هو المرجو من سير الإمام في العوالم، وليس هو سير مجرد عن الفائدة والنفـع والغرض العقلاني، بل فيه نفع لكل عالم يسير الإمام فيه، فكما روي أن الإمام يسد النقص الذي قد يحدث في الدين بسبب أنحرافات الناس، وكذا يزيل الزائد الذي قد يحـصل فيـه بطرقه الخاصة كأن يلقي بالافكار في قلوب الفقهاء، أو يدلهم إلى ما فيه تاييد للـدين، أو يثير جانباً فكرياً او عقائدياً عبر وسائطه الخاصة وولايته الالهية، فيوجد مـساراً جديـداً يحافظ على الدين في جماعة المؤمنين وأهل الحق، كما قال عليه السلام: فأنك لا تـدري لما قلناه وعلى أي وجه وصفناه[2].

أو كما قال الصادق عليه السلام: "ولكل ذلك عندنا تصاريف ومعان يوافق الحق ولـو أذن لنـا لعلمتم أن الحق في الذي أمرناكم فردوا إلينا الأمر، وسلموا واصبروا لأحكامنا وارضوا بها والذي فرق بينكم فهو راعيكم الذي أسترعاه الله خلقه وهو أعرف بمصلحة غنمه فـي فساد أمرها فإن شاء فرق بينها لتسلم، ثم يجمع بينها ليأمن من فسادها[3].

فهذا السير في العوالم من قبل الإمام المهدي عليه السلام هو لأجـل رعايـة مـصالحها، وهـذه المصالح تارة تقتضي التفريق في الأراء لتحقيق السلم، وتارة تقتضي جمع الكلمة لتأمن.

---

[1] خصائص الشيخ المفيد ص٢٤٧ طبعة قم عام .

[2] مر مصدره.

[3] رجال الكشي ص١٢٧.

وهكذا يمارس الإمام دوراً غيبياً عظيماً في الحفاظ على شؤون العالم وحفظ الحق، ولو تأمل المتأمل كيف بقي الحق سالماً في مساراته رغم دول الظلم والأستبداد؟!

لتيقن أن راعياً وقيّماً يعمل على المحافظة عليه على الدوام، وإلا فإن الناس كانت تبيع دينها بأبسط الأثمان وابخس الأموال، ألا ترى كيف نكل أهل المدينة؟ ولم يدافعوا عن بيت النبوة؟ الا ترى النصب في أهل مكة ومعاداتهم لأهل بيت نبيهم؟ حتى قال الصادق ﷺ: يابن ميمون كم أنتم بمكة؟ قلت: اربعة، قال ﷺ: أنكم نور في ظلمات الأرض[1].

إنهم أربعة رجال فقط على دين الحق في مكة في زمن الصادق ع!

وقال ﷺ: إلى الله اشكو أهل المدينة إنما أنا فيهم كالشعرة ما انتقل يريدونني أن لا أقول الحق[2].

وأما حديث قتل الإمام الحسين يغنيك تماماً، ويرسم لك الصورة بشكل واضح عن تردي هذه الأمة، وأنتكاستها المشؤومة، ينقل أن معاوية لعنه الله أعطى الأحنف بن قيس ٥٠,٠٠٠ درهماً وكان علوي الهوى، وأعطى الحتات ٣٠,٠٠٠ درهماً وكان عثماني الهوى، فقال لمعاوية: أتعطيه كذا وتعطيني كذا؟

فقال معاوية لعنه الله: أني اشتريت بها دينه، فقال الحتات: اتشتري مني ديني؟ فأتمها له، ثم بعد اسبوع مات الحتات وعاد المال كله لمعاوية[3].

وهذه القصة من عشرات الألاف، والحتات نموذجاً من غالبية المسلمين، افلا تعجب كيف صمد التشيع في مثل هذه الأجواء؟!

---

[1] رجال الكشي ص٢١٢.

[2] رجال الكشي ص٢١٢.

[3] المصدر السابق ص٨٤.

أليست هي رعاية الأئمة صلوات الله عليهم؟ نعم وبلا شك، ولك أن تطالع العديد من القصص الموثقة التي نقلها الثقاة، الإثبات في تدخل إمامنا المهدي عليه السلام في العديد من القضايا المصيرية وكيف أنه وجه العلماء في الوجه الصحيحة أو أنه أرشدهم إلى الفتوى الموافقة للحق.

وهذا المعنى الذي ذكرته لك دلت عليه بعض الأيات القرآنية كقوله تعالى: **(وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِي وَأَيَّاماً آمِنِينَ)**[1] التي افتتحنا بها هذه السنبلة.

قال الإمام الباقر عليه السلام: ..فالسير مَثَلُ العلم (سيروا فيها ليالي وآياماً آمنين) مثل لما يسير من العلم في الليالي والأيام عنا إليهم في الحلال والحرام والفرائض والأحكام آمنين فيها إذا أخذوا من معادنها التي أمرو بالأخذ منها من الشك والضلال[2].

وروي تأويلاً عنهم عليهم السلام: فنحن القرى التي بارك الله فيها، وبيان ذلك: فأنهم عليهم السلام القرى الألهية المباركة كما قال ص: انا مدينة العلم... فهم مدن العلم، وقرى المعرفة إذ جمع الله تعالى فيهم علوم الأولين والأخرين وهذا سر تأويل القرية بهم؛ لأنها سميت قرية؛ لأن الماء يقرى فيها أي يجتمع، وهم عليهم السلام قد جمعوا العلم كله، ثم أن هذا العلم يخرج منهم إلى قلوب شيعتهم ويسير كما يسير الراكب ليالي وأياماً، وهذا العلم هو سبب أمنهم ونجاتهم وأخلاصهم وعتق رقابهم من النار؛ لأنهم أخذوا العلم من معدنه الأصيل، ومن ثم أصبح العالم الرباني قرية ظاهرة بعدما أخذ علمه من القرى المباركة، فيجلس ويبث العلم ويرشد الجاهل ويهدي الضال وينبه الغافل، فالإمام المهدي عليه السلام القرية المباركة التي يُبث العلم منها، بطاقات روحانية تسري ليل نهار، فتتكامل النفوس على مائدته المباركة، وتتنشط الأرواح من فيض عطائه العرشي، فضلاً عن دعواته الشامخات التي ترفد أهل الحق

---

[1] سبأ ١٨.

[2] الاحتجاج ج٢ ص٢١٢ ط مؤسسة النبراس العراق.

وتقوي جانبهم، كان الصادق ﷺ يقول لعبد الملك بن عمرو الراوي: أني لأدعوا الله لك حتى اسمي دابتك، أو قال الراوي: أدعوا لدابتك[1].

فالحظ رأفتهم بنا واسنادهم لنا في ظهر الغيب من دون أن نحس بذلك، بل أكثر من ذلك فقد روي أن الرضا ﷺ أمر صاحب مقبرة البقيع أن يرش الماء على قبر أحد أصحابه ورواة حديثه وهو يونس بن يعقوب، فأمر له بالكفن والحنوط وأمر مواليه بتشيعه وأن يرش قبره بالماء شهراً، أو اربعين يوماً[2] فرعايتهم لنا حتى بعد الممات وهذا ما يفعله المهدي ﷺ في غيبته الكبرى مع محبيه وشيعته الخلص الذين عكفوا على طاعة ربهم ومعرفة أمامهم.

وقد روي عن محمد بن زيد الشحام أن الإمام الصادق ﷺ دعاه إلى تناول الطعام معه في بيته، فقال له: ما تشتهي، فقال محمد بن زيد: اللبن، قال: فأشترى لأجله شاة لبوناً[3]، فتأمل إلى مستوى العناية والأهتمام الفائق فلا تشك إن المهدي ﷺ يفعل ذلك بطرقه الغيبية كما فعله الأئمة ﷺ.

وفضلاً عن هذا كله فإن الإمام المعصوم يسير ويتنقل من مكان إلى آخر يمارس وظيفته الشرعية في هداية النفوس وتكميل عقولهم وأن كان التاريخ لم ينقل لنا ذلك، أو كنا نحن نجهل ذلك، إلا أن القواعد الحكمية ترشدنا إلى هذا، وخذ ما فعله الإمام الرضا ﷺ على سبيل المثال، فأنه حينما توفي الإمام الكاظم ﷺ سار الرضا ﷺ إلى البصرة وناقش وحاور علماء البصرة من الديانات كلها، ثم سافر إلى الكوفة وحاور أهل الديانات كلها، وكان ﷺ يسير إليهم بطي الأرض[4]، وهكذا نقل عن غيره من الائمة ﷺ.

---

[1] رجال الكشي ص٣٣٢.

[2] المصدر نفسه ص٣٣٢.

[3] المصدر نفسه ﷺ ٣١٥.

[4] أنظر الخرائج والجرائح ج١ ص٣٤١ ب٩ ح٦.

فهذا ما قد وصلنا وهو يدل على أن هذه طريقة الأئمة عليهم السلام والمهدي عليه السلام يمارس ذلك دون أن نعلم، كما مارس الخضر دوره في مساعدة الناس وانقاذهم دون أن يعلموا به أو يعرفوه.

الحبة الثانية: المهدي ﷺ ... الإنسان الاعلى

أن الموضوع الذي تطرقنا إليه قبل قليل أعني سير الإمام المهدي في العوالم، وغيره من الروايات التي تعكس جانب العظمة في إنسانية الإمام المعصوم تحتاج إلى أفق خاص لهضمها واستيعابها، فكلما كانت النفوس خالية من المعارف الربانية، أشمأزت من سماع هذه الاخبار، وهذا هو سبب أنكار الناس للعديد من الأحاديث والروايات التي تشير إلى جانب الفضائل بالشكل العجيب الذي لم يعتد الناس على سماعه أبداً، فمنهم من ينكر أصل المعجزة مثلاً، ومنهم من ينكر أصل الحديث، ونحن هنا نريد أن نقف على الأسباب وطرق علاجها، كي نستطيع تحمل أمر المهدي ﷺ في النهاية.

ولعل أهم الأسباب في ذلك هو أن ميل بعض الناس إلى أنكار الأمور الغريبة، أو المعجزات الخارقة، أو حتى تأويلات الآيات القرآنية في شأن المهدي ﷺ، وذلك بسبب غربتهم عن الحديث الشريف، وأبتعادهم عن أجواء روايات الأئمة ﷺ، الذي أنعكس على قلة معرفتهم في شؤون الإمام المعصوم ﷺ، وبطبيعة الحال فأن الناس أعداء ما جهلوا.

وهذه مشكلة كبيرة أصيب بها حتى غير المتتبعين، فتراهم يتتبعون الأشعار وآراء الفلاسفة[1]، واسماء المخطوطات ولا يتتبعون الأحاديث الشريفة، فينكرون الحقائق السماوية، لمجرد أنهم لم يطلعوا على أدلتها!!

---

[1] يقول محمد اقبال: أن الفلسفة اليونانية مع أنها وسعت أفاق النظر عند مفكري الإسلام غشّت على أبصارهم في فهم القرآن... ان روح القرآن تتعارض في جوهرها مع تعاليم الفلسفة القديمة...

ومن نتائج هذا أن أتجه الغزالي إلى اقامة الدين على دعائم من التشكيك الفلسفي، وهي دعائم غير مألوفة العواقب على الدين ولا تسوغها روح القرآن... وساعد – أبن رشد – على نمو فلسفة للحياة تورث الضعف وتغشي على بصر الإنسان..

أنظر تجديد التفكير الديني ص٣١ – ٣٢. فهذا احد الفلاسفة وهو ينتقد الفلسفة التي دخلت على المسلمين وكيف أنها أثرت سلباً على الفكر الأصيل.

أو لأن عقولهم ونفوسهم لم تأنس بدلالة الاخبار الدالة على الغرائب والعجائب، فينكرونها لمجرد الأستبعاد! مع أن الإمام الصادق عليه السلام قال: أن أمر الله كله عجب..[1].

وقد وضع الله تعالى تذكرة لأمثال هؤلاء في قصة أدم عليه السلام، حيث قالت الملائكة: **(أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ)؟**

فأنها في هذا الأستفهام أنكرت فضل آدم عليه السلام، وذلك لعدم بلوغهم معرفته الحقيقية، فكان الجواب في حقهم (أني أعلم ما لا تعلمون) أي أنكم تجهلون وعليه فلا يحق لكم الأنكار والأعتراض، فهذا درس قرآني عظيم مفاده هو: **لا يحق لك أنكار ما تجهله وما لا تعرفه.**

ولذلك لم يسمح الإمام الباقر عليه السلام لزرارة أن يحرق بعض الأحاديث، حيث روى أبن الصفار في البصائر بسند صحيح عن زرارة قال: دخلت على أبي جعفر عليه السلام فسئلني ما عندك من أحاديث الشيعة؟ قلت: أن عندي منها شيئاً كثيراً، قد هممت أن أوقد لها ناراً أحرقها! قال: ولم هات ما أنكرت منها...[2].

قال العلامة المجلسي: الظاهر أن زرارة كان ينكر أحاديث من فضائلهم لا يحتملها عقله..

فهذا حال زرارة فكيف بغيره ممن لم يعاصر الإمام عليه السلام؟!

فنلاحظ كيف أن الإمام الباقر عليه السلام لم يقبل بما قاله زرارة تطبيقاً للقاعدة القرآنية الأنفة الذكر، وعليه فليس كل ما لم تدركه أو تسمع به تنكره، فإنها طريقة سيئة، قال عنها المعصوم عليه السلام: وإنما الهالك من يحدث أحدكم بالحديث أو بشيء لا يحتمله فيقول والله ما كان هذا[3].

---

[1] الكافي باب البيان والتعريف ولزوم الحجة.

[2] مقدمة تفسير مرآة الأنوار ص٦١، نقلا عن البصائر.

[3] مقدمة تفسير مرآة الأنوار ص ٦١ – ٦٢.

وروي بإسناد صحيح عن الحذاء قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: أن اسوء أصحابي عندي حالاً الذي إذا سمع الحديث ينسب إلينا ويروي عنا فلم يحتمله قلبه وأشمأز منه جحده وكفر من دان به ولا يدري لعل الحديث من عندنا خرج وإلينا اسند فيكون بذلك خارجاً من ديننا[1].

وعليه فإذا جاءت الروايات في تأويل القارعة بالمهدي عليه السلام، وأنه الصراط السوي وأنه العذاب الأدنى، وأنه يوم تشقق السماء، وأنه يوم الرجفة وأنه الناقور، ووو. فلا تنكر ما لا تعرف، بل عوّد نفسك على تحصيل العلم، وكن في أجواء آل محمد صلوات الله وسلامه عليهم، وتعوّد على ثقافة التسليم إليهم والقبول عنهم، وروّض قلبك بالأدعية النورانية وكثرة المطالعة لأحاديثهم وفضائلهم ومناقبهم، وأقترب من أهل الولاء وأشحن ساعاتك بنور أحاديثهم كما قال الأمير صلوات الله عليه: اقتربوا اقتربوا وسلوا وسلوا فإن العلم يفيض فيضاً[2].

وكن على يقين إن أفضل طريقة لقلع الشك هي التنور بنور أحاديثهم، وفيض فضائلهم، فأنها تزيد من معرفتك بآل محمد صلى الله عليه وآله، وإذا زادت معرفتك طهر قلبك من كل دنس وشك وريب وضعف، قال الإمام الصادق عليه السلام: فمن اراد الله أن يطهر قلبه من الجن والأنس عرّفه ولا يتنا ومن أراد أن يطمس على قلبه امسك عنه معرفتنا[3].

فقد ذكرت لك هذه المقدمة لتستعد في قراءة وسماع عظمة المهدي عليه السلام في القرآن الكريم، بأعتباره الإنسان الكامل الأعلى، الهابط علينا من عوالم النور المقدسة، فقد قال الله تعالى: **(يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُبِيناً)**[4]، فقد روي أن هذا

---

[1] المصدر السابق.

[2] رجال الكشي ص٥٠١.

[3] الأختصاص للشيخ المفيد ص٢٥٠.

[4] النساء الآية ١٧٥.

النور النازل من الله تعالى هو أمير المؤمنين علي عليه السلام[1]، وهذا بعينه يجري في المهـدي؛ لأنهم نور واحد، نزل مع البرهان العظيم محمد صلى الله عليه وآله.

وهذا النور الهابط علينا فيه قوة البرهان المحمدي، ولذا فقانونه في الحياة بهذا الشكل:

أخضع تُرفع، سلّم تسلم، أقبل تُقرّب.

فكلما خضعت للمهدي عليه السلام فأنه يرفع قدرك، وكلما سلمت إليه ولم تشك وتعترض فأنك تسلم من أفات البعد والأمراض، وكلما قبلت عن إمامك كل شيء تقرب في عالم السبق **(السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ)**.

قال الإمام الصادق عليه السلام: .. ولا أقام الله عيسى بن مريم آية للعالمين إلا بالخضوع لعلي عليه السلام، وأجمل الأمر – أي أختصر لك الأمر – ما أستأهل خلق من الله النظر إليه إلا بالعبودية لنا[2].

ولا تعجب فإنها طريقة الرب سبحانه وتعالى، فقد أمر ملائكته العظام بالسجود لآدم عليه السلام في الظاهر، وفي التأويل أنه أمرهم بالسجود لنور محمد وآل محمد صلى الله عليه وآله الذي ظهر في آدم، فأفهم.

ولقد كان النبي أدريس عليه السلام أنموذجاً يراد من خلاله تقريب فكرة المهدي الإنسان الأعلى، والنور الالهي، فقد ذكر في التاريخ إن النبي أدريس أول من خالط الملائكة والأرواح المجردة وحصل له معراج الأنسلاخ البشري[3]، فهي صورة الإنسان الأعلى، أنه روحاً مع الأرواح في حال كونه بدناً في الأرض وهو نوراً في الملكوت الأعلى، فهذا حال الإنسان الاعلى الذي تجب طاعته؛ لأنه ملك العوالم.

---

[1] أنظر تفسير البرهان في تفسير الآية.

[2] الأختصاص للمفيد ص٢٥٠.

[3] أخبار الدول وآثار الأول للقرماني ج١ ص٥٨ وص٥٣ ط لبنان الطبعة ١ عام ١٩٩٢م، عالم الكتب.

قال الإمام الباقر ﷺ : لما ولد يحيى ﷺ رفع إلى السماء فغذي بإنهار الجنة، حتى فطم ثم نزل إلى ابيه وكان البيت يضيء بوجهه[1].

ولعل حديث ولادة المهدي ﷺ وأنه رفع إلى السماء بعد ولادته يشير إلى هذا المعنى العظيم، وقد وضع الله تعالى قصة شيث ابن أدم لكيلا تستعظم الناس امر المهدي ﷺ، فقد روي أن شيث لما ولد أخذته الملائكة إلى السماء وبقي ٤٠ يوماً، حيث علموه المهن[2].

فهذه النماذج قد حصلت في التاريخ لتقريب فكرة عظمة الإنسان الاعلى وهو المهدي ﷺ.

فإنسانيته وحيوية تحمل في جوهرها الأنوار الالهية التي تساهم وفق نظام تكويني على تكميل العقول والتأثير على النفوس، فتقوم بتهذيبها ومدها بالطاقة الخارقة، فالمهدي ﷺ يعمل بإنسانيته اللاهوتية المدعومة من الله تعالى بمزيد من النور على تطوير النظام البشري، أعني تطوير دواخل الإنسان.

وقد جاء في الأحاديث أنه ﷺ إذا ظهر وضع الله يده على رؤوس العباد فجمع بها عقولهم وكملت أحلامهم[3]، والمراد من يد الله هو الإمام المهدي ﷺ نفسه فهو مظهر القدرة الألهية والأرادة الربانية، وهو صاحب التسديد والتاييد يمد العوالم البشرية بطاقة نورية تظهر لأول مرة في الوجود، تعمل على تكامل العقول والنفوس ولا نعرف الأن الآليات التي سيستخدمها الإمام ﷺ إلا أنه من المحتمل أنه ﷺ سيفعل الوسائل البسيطة، كالنظر واللمس والنفخ والأرادة، فهذه ستكون نواقل النور الالهي من الإنسان الأعلى – المهدي ﷺ – إلى الإنسان الأدنى لتطوير نظامه البشري، وبالتالي سيؤدي ذلك إلى تطوير مظاهر الحياة المدنية ونشوء الدولة المعصومة.

---

[1] بحار الأنوار ج١٤ ص١٨٠ ح١٧.

[2] أخبار الدول ج١ ص٥٣.

[3] الوافي ج١ ص١١٤، عن الكافي.

الحبة الثالثة: دين القائم عليه السلام

قال الإمام الباقر عليه السلام في تأويل قوله تعالى: **(وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ)** إنما هو دين القائم عليه السلام[1].

وقد روي من جهة اخرى عنه عليه السلام: إن قائمنا إذا قام دعا الناس إلى أمر جديد[2].

وروي أيضاً عن الصادق عليه السلام: إذا قام القائم استأنف دعاءً جديداً كما دعا رسول الله[3].

والسؤال هو:

هل إن الإمام عليه السلام إذا ظهر يستأنف ديناً جديداً فعلاً؟

في الواقع أنه يستأنف الإسلام العلوي، ويعيد تداول القرآن كما أنزل بكل بطونه وتأويلاته التي تم حذفها من قبل العجول الثلاثة، وهذا بحد ذاته سيكون جديداً حتى على الشيعة، فكيف بغيرهم الذين لم يسمعوا بهذا أبداً؟

هذا من جهة ومن جهة ثانية فإنه سيفعل القرآن الذي يُكلم به الموتى، وتقطع به الارض، ويُعرج به إلى السماء، حتى يعود القرآن عند ذلك الزمان كتاب الحياة، وهذا أيضاً دين جديد كما لا يخفى.

ومن جهة ثالثة فإنه عليه السلام سيجعل من القرآن دستوراً تجري وفقه الأحكام الشرعية فتسعد به الشعوب، وقد تحدثنا عن ذلك كله في كتابنا فتح الفتوح.

وما أريد أن أذكره هنا الأن هو:

١. الأحساس بعصر النبوة:

---

[1] مقدمة مرآة الأنوار ص٢٨٠.

[2] غيبة النعماني باب ٢١ ص٣٣٦ ح١ ط قم عام ١٤٢٦ هـ تحقيق فارس حسون.

[3] المصدر نفسه.

فإنه ﷺ إذا ظهر وحكم الناس بالعدل، وأطلق العنان لجميع عقائد القرآن الباطنية المتصلة بعظمة آل محمد ﷺ فظهرت وصارت هي عقائد الناس، ثم التطور التكنولـــوجي القـــائم على اسس جديد[1] هو الأخر سيظهر في أيدي الناس، وغيرها من أمور كلها تخلق عنـــد الناس احساس بعظمة النبوة، وكأنهم يعيشون عصر نبي الإسلام محمـــد ﷺ، وينتـــابهم شعور أن المهدي نسخة النبي ﷺ، فيعود الإسلام من جديد بعطر النبوة، ويتحـــول بيـــت الإمام المهدي ﷺ كأنه بيت النبي ﷺ، وقد أكد الأئمة على أحترام هذا الشعور، بل هـــم أسسوا ذلك بعناية.

عن أبي بصير المرادي عن بكير قال: لقيت أبا بصير، قلت: أين تريد؟ قال: أريد مولاك، قلت: أنا أتبعك، فمضى معي فدخلنا عليه – أي على الإمام الصادق– وأحدَ النظـــر إليـــه فقال: هكذا تدخل بيوت الأنبياء، وأنت جنب! قال: أعوذ بالله من غضب الله وغضبك[2].

فلاحظ كيف إن الإمام ﷺ أطلق العبارة (بيوت الانبياء)، فهذا تأســـيس للـــشعور الجديـــد والعقيدة الصحيحة وسيتنامى هذا الشعور إلى أوج مراحله يشكل حضوراً فـــاعلاً لنبينـــا العظيم ﷺ في حياة المهدي ﷺ ببركة سياسته.

وهكذا يتولد الأحساس بعودة زمن الأئمة ﷺ لا سيما وأن المهدي ﷺ سيظهر للناس تراث النبوة وكتب الأئمة، وآثاراهم المقدسة ويعيد أمجاد آبائه فيبدأ كل شيء يذكر الناس بالأئمة الهداة من أماكن وكتب وعلوم، بل وحتى رجعة بعض الرواة القدماء إلى مسرح الحيـــاة فيحدثون الناس عن الأئمة ﷺ وعن عصر النبوة، ويعيش الناس هذا الأحـــساس بذروتـــه وترددائه العالية، يقول إبراهيم بن ابي محمود: دخلت على ابي جعفـــر –الجـــواد ﷺ – ومعي كتب إليه من أبيه ﷺ، فجعل يقرأها ويضع كتاباً كبيراً على عينيه ويقول: خط أبي والله ويبكي حتى سالت دموعه على خديه، فقلت له: جعلت فداك قد كان ابوك ربما، قـــال

---

[1] أنظر تفصيله في كتابنا فتح الفتوح.

[2] رجال الكشي ص١٥٢.

لي: في المجلس الواحد مرات اسكنك الله الجنة، فقال: وأنا أقول لك أدخلك الله الجنة، فقلت: جعلت فداك، تضمن لي على ربك أن تدخلني الجنة؟ قال: نعم، قال: فأخذت رجله فقبلتها[1]

فهذا أمامنا الجواد يقرأ وينظر إلى خط ابيه فيبكي دموعاً عليه، فهو يؤسس لعصر النبوة والأئمة الثاني الذي سيكون على يد المهدي ﷺ، وهو دين القيمة.

٢. التسليم للمهدي ﷺ هو الدين الجديد:

من أبرز ما سيكون جديداً في إسلام اخر الزمان على يد الإمام المهدي ﷺ، هو موضوع التسليم، وبطبيعة الحال فأنه لا يكون من دون مقدمات، فقد دلت الروايات على أن أكثر الناس أهل شك وأنكار في بدايات الظهور المبارك، إلى أن يتم سيطرة أهل الحق والأيمان وتشيع ثقافة وعقيدة التسليم، وهي من أدق السلوكيات التي تستوجب يقظة القلب ولا ينال ذلك إلا ذو حظ عظيم، لذلك فإن التحلي بالتسليم يعد ديناً جديداً، وامراً مثيراً، ويستوجب التأمل، فقد كان المسلمون في عصور الأئمة نوادر، وقلائل، حتى أنهم كانوا أطلقوا على أحدهم تسمية (كليب مسلَّم).

فقد كان كُليب من أصحاب الإمام الصادق ﷺ الذي عرف بالتسليم مطلقاً، فأضافوا إليه لفظة مسلّم؛ وذلك لشدة تسليمه وندرته.

ويحسن بي أن أذكر لك بعض الروايات كي تتضح صورة التسليم بأبعادها العقائدية.

❖ عمر بن رياح من المنحرفين[2] عن خط الإمامة ويعود السبب لأنحرافه أنه لم يسلَّم، فقد سأل الإمام عن مسألة فأجابه، ثم سأله نفس المسألة في العام القابل فأجابه الإمام بغير جواب، فأستغرب، ولم يقنع إلى أن أنحرف!

---

[1] رجال الكشي ص٤٧٥.

[2] أنظر ترجمته في رجال الكشي ص٢٠٥.

وهنا يأتي دور القواعد الستة التي ذكرناها لك في أول الكتاب، فالإمام عليه السلام يتكلم وهو يلاحظ جميع الظروف النفسية والاجتماعية والسياسية، وما يصلح للراوي، وما تقتضيه الحكمة، وما إلى غير ذلك، فلا تفكر ان الإمام يجب عليه أن يتكلم وفق ما تريد انت، فهذا ليس تسليماً.

- محمد الطيار أيضاً هو من الرواة، أراد أن يدخل يوماً على الإمام الباقر فحجبه ومنعه، بينما أدخل رجلاً غيره فأنزعج محمد الطيار وعاد إلى بيته متألماً، وبعد برهة أرسل إليه الإمام الباقر عليه السلام أحد مواليه يدعوه، فلما جاء قال له الإمام عليه السلام: أنما حجبتك لكذا وكذا[1].

وهذا يستلزم التسليم، إذ لا يحق للموالي أن ينزعج من تصرفات الإمام عليه السلام المبنية على الحكمة والرؤية الوحيوية المنزلة من السماء.

- جويرية بن اسماء[2] من المنحرفين عن الإمامة بسبب عدم التسليم فقد دخل حمران بن أعين وجويرية على ابي عبد الله عليه السلام، فتكلم الإمام بكلام فوقع عند جويريه أنه يلحن في كلامه، فلما خرجا معاً، قال الإمام عليه السلام لمن كانوا عنده: اما حمران فمؤمن وأما جويريه فزنديق لا يفلح ابداً، وبالفعل فأنه أنحرف.

فأياك أن تظن في قلبك شيئاً سيئاً ضد الإمام المعصوم فإن ذلك يؤدي بك إلى الأنحراف؛ لأن الظن السيء يمرض القلب، فيسلب نوره وبريقه، فعليك بملاحظة التسليم كم هو دقيق يستدعي الحذر واليقظة وعدم الغفلة، وهذا فعلاً هو الدين الجديد؛ لأننا لم نعتد على مثل هذه الحياة الدقيقة واليقظة المستمرة، وهذا ما سيحدثه المهدي عليه السلام فينا، عندها سنكون من جملة المقربين الذين إذا رآهم الإمام فرح بهم واستأنس واستبشر، كما كان يقول الصادق عليه السلام ذلك لبعض أصحابه: اشكو إلى الله وحدتي وتقلقلي من أهل المدينة حتى تقدموا

---

[1] رجال الكشي ص٢٩٧.

[2] المصدر نفسه ص١٥٩.

واراكم واُسر بكم[1]، وفي نص أخر قال ﷺ: يا ليتني وأياكم بالطائف أحدثكم وتؤنسوني[2].

فهذا حال بعض الرواة المقربين، فكن أنت من جملة المقربين عند الإمام المهدي ﷺ من خلال تسليمك الذي هو أعز شيء في الغيبة الكبرى، بل هو أعلى سلّم ما يجب التحلي به.

أضمن للإمام المهدي التسلّيم يضمن لك الجنة، فإن الكاظم ﷺ طلب من علي بن يقطين أن يضمن له قضاء حوائج الأخوان، وهو يضمن له الجنة، وقد ضمنها له وكان يقول ﷺ: من سعادة علي بن يقطين أني ذكرته في الموقف[3]، يعني في عرفة، فهل تريد أن تكون سعيد الحظ؟ سلَّم أمرك لإمامك المهدي ﷺ، كي يذكرك في مواقفه.

٣. الفهم الجديد للدين الجديد:

عليك أن تفهم أن المقصود من الدين الجديد على ضوء ما شرحنا انه ليس المراد به محض الطقوس العبادية، او الحالات الروحية القلبية، وإنما سيكون هذا ممزوج الطبيعة مع التقدم الهائل، كالتنقل في السحاب والمشي على الماء، والتكلم والرؤية عن بعد، وتقدم أطوار البدن البشري وتغيير مناخات الارض، والأستفادة من الارضين السبع مع أفلاكها وفضائاتها والانتقال إليها بيسر وسهولة وغيرها، سيكون كل ذلك أثراً من آثار الدين ونتيجة طبيعية لجميع الأذكار والآيات والادعية، فإن اثارها سيلاحظ مع تقدم عقل الإنسان وتكامل ايمانه وتسليمه لإمامه ﷺ، ففي مرحلة الظهور ستتفجر العلوم الجديدة بتعليم من الإمام ﷺ للناس وهذا كما حصل في أول الخليقة، حيث علّم الله تعالى أدم ﷺ، فقد روي أنه تعالى علمه كل شيء، وذكر في التاريخ أنه علمه ١٠٠٠ حرفة[4]، وقد تقدم نظير هذا

---

[1] [2] رجال الكشي ص٣١٠ و ص٣٠٨.

[3] رجال الكشي ص٣٦٧.

[4] اخبار الدول للقرماني ج١ ص٣٠.

في شيث ﷺ، فالمهدي ﷺ أيضاً سيعلّم الناس حِرفاً جديدة، وعلوماً متمدنة إلى درجة أنه ستتحول الأثار المقدسة (من آيات قرآنية وأدعية وأذكار) إلى طاقات تظهر بعض آثارها في تقدم الحياة، ونقل الإنسان إلى مرحلة متمدنة جداً، فأنها لا تقرأ للثواب فقط، ولا للحصول على المراتب عليا في الجنة، وأن كان هذا كله صحيحاً بل ومقصوداً أيضاً، إلا أن الله تعالى يضيف إلى هذا تفجرها بحقائق كونية تخدم الإنسان في الدنيا، حينها سيبدو الدين الجديد، فإن أحد الرواة طلب من الإمام الصادق ﷺ أن يقرأ اسمه في صحيفة الإمام التي فيها أسماء اهل الجنة، فدعى الإمام بالصحيفة، فيقول فوجدتها بيضاء ليس فيها اثر لكتابة! فقلت : يا بن رسول الله ما أرى فيها أثر للكتابة؟ قال: فمسح يده عليها فوجدتها مكتوبة[1].

فالإمام المهدي كذلك يجعلك ترى الماورائيات، وهو معنى أنه ﷺ يمسح على رؤس العباد فتكتمل عقولهم وأحلامهم، عندها يرون المغيبات ويقرأون صحائف النور التي لا يقدر على قراءة أي شيء منها لولا عناية الإمام ﷺ، فهو ﷺ الذي يمسح على آيات القرآن الكريم لترى فيها ما لم تكن ترى!.

ويمسح على الهواء فترى فيها الملائكة، ويمسح على الارض فترى ذهبها ونفطها وجواهرها ومعادنها، ويمسح على كل شيء فترى جوهره وحقيقته، ثم يهبك المهدي القدرة على تغير الأشياء بأبسط الوسائل كالدعاء، والنفخ، والأرادة، وهكذا تبدو الدنيا وكل ما فيها مسخّر لك فتدرك معنى الدين الجديد و القرآن الجديد والإسلام الجديد فأفهم.

وهذا الذي اقوله لك له نظائر كثيرة، منها أن فطرس مسح جناحيه بمهد الإمام الحسين ﷺ فأعاد الله تعالى إليه جناحيه، ومنها ان النبي مسح على عين أحدهم وقد أصيبت في المعركة فعادت كما كانت ومنها أن محمد بن سنان كان له وجع في عينه فطلب من الإمام الجواد ﷺ أن يدعو له وهو لا يزال صغيراً في مبكر العمر يحمله موفق الخادم على

---

[1] الاختصاص للمفيد ص٢١٧.

صدره، فتمتم الإمام بدعاء لم يفهمه ومسح عليها فشفيت،وكان أبن سنان يقول: فطرسيه فطرسيه[1]، تشبيها بقصة الملك فطرس، ومنها قصة شجرة اللوز التي أنبتها الإمام وكانت مصدراً لشفاء الناس، ومنها أمثلة ونظائر كثيرة جداً.

فإنها الوسائل البسيطة جداً والتي تختزل في عمقها ما تعجز أضخم العلوم التكنولوجية لتحقيقه.

فالنفخ والمسح والدعاء والآيات والأذكار ستغير الحياة تغيراً تاماً.

٤. دين القيمة هو دين القائم:

وهو الإسلام بشرط الولاية لعلي والأئمة، بلا أي مجاملات أو تقية أو هدنة أو مندوحة، فمن قبل بالإسلام بشرط الولاية فبها ونعمة وإلا فلا مجال له للبقاء، وهذا تاويل قوله تعالى: **(يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ)**[2]، قال الإمام الكاظم عليه السلام: ولاية أمير المؤمنين، ثم قال: هو الذي امر رسوله بالولاية لوصيه والولاية هي دين الحق (ليظهره على الدين كله) يظهره على جميع الأديان عند قيام القائم لقول الله عز وجل: **(وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ** – بولاية القائم – **ولو كره الكافرون** – لولاية علي) فقال الراوي: هذا تنزيل؟ قال: نعم، أما هذا الحرف فتنزيل وأما غيره فتأويل[3].

وفي رواية أخرى حول الآية أعلاه قال الإمام الصادق عليه السلام: والله ما نزل تأويلها بعد ولا ينزل تأويلها حتى يخرج القائم عليه السلام[4].

فدين القيمة هو الدين الذي جوهره ولاية علي والائمة عليهم السلام.

---

[1] رجال الكشي في ترجمة محمد بن سنان.

[2] التغابن الآية ٨

[3] الكافي ج١ ص٤٣٢.

[4] كمال الدين ج٢ ص٦٧٠ ح١٦.

السنبلة الثالثة

الحبة الأولى: المهدي آية الرحمن

قال تعالى (**يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ**)[1]، روي عن الصادق عليه السلام: يعني خروج القائم عليه السلام[2]، وروي قوله تعالى: (**وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا اساطير الأولين**)[3]، عن الصادق عليه السلام: يعني تكذيبهم بالقائم، أذ يقولون له لسنا نعرفك ولست من ولد فاطمة كما قال المشركون للنبي صلى الله عليه وآله[4].

وهناك روايات كثيرة في تأويل الآيات في الإمام المهدي عليه السلام وقد ذكرنا أنموذجاً منها فقط، نعم وهناك روايات أخرى في تأويل الآيات بالأئمة عليهم السلام بشكل عام، وورد في الإمام المهدي بشكل خاص، وذلك لبيان أنه آخر العلامات الإلهية والدلائل السماوية الواضحة المبينة لعظمة الله وقدرته، وتأويل لفظة الآية بالإمام المهدي عليه السلام فيه دلالات عظيمة ومهمة منها:

الأولى: أنه عليه السلام سيأتي بثقله وحجمه مقروناً بالبراهين الالهية، والمعجزات الخارقة في أول ظهوره، صحيح انه عليه السلام سيعتمد الأمور الطبيعية في الظاهر، إلا أنه يمزج معها طاقات الأعجاز الخارقة مما يدلل على كونه قادماً من نور العظمة الالهية، وإلا فكيف نفسر وجود الصيحة التي يسمعها أهل العالم كافة؟ فهذا أحد أسرار كون المهدي عليه السلام آية الله، أو أنه من آيات الله تعالى.

---

[1] الأنعام الآية ١٥٨.

[2] مقدمة مرآة الأنوار ص٩٠.

[3] القلم الآية ١٥.

[4] المصدر السابق.

الثانية: المهدي ﷺ آية، بمعنى أنه يحمل معه براهين صدقه، وادلة حقانيته، فلا يقدر أحد على مواجهته، نعم أن بعض الناس سيكذبونه كما كذبت الرسل كافة، فكون أن عيسى آية للعالمين لأنه حمل معه براهين صدقه وبراءة أمه بما لا يبقى معه مجال للمواجهة، وهكذا المهدي ﷺ ولذلك عبّر الأئمة عن أمر المهدي أنه كالشمس في النهار.

الثالثة: كون المهدي آيه ألهية فأنه يأتي بأذن الله تعالى؛ لأن هذا شأن جميع الرسل والأوصياء فإنهم يأتون يحملون معهم طاقة الأمر الألهي، ولكن بأذن الله تعالى، وهذا سر نهي الأئمة عن موضوع التوقيت؛ لأن الآيات تاتي بعد تحقق الأذن الألهي، وقد خفيت علينا حكمة الأذن الالهي تماماً، وأنها غائرة في عالم الغيب، ولا يحق لأحد التخمين أو التقريب أو التأجيل، لأنه تدخلاً في شؤون الرب سبحانه.

الرابعة: وكون المهدي آية فأنه على هيئة الفعل الالهي، حاكياً عن صفات الله تعالى، فأنه مظهر الجنان واللطف والرحمة والقدرة والعلم... ألخ.

ومظهريتهُ للصفات الالهية اعلى من مظهرية النبي عيسى وهو يعكس درجة القرب الالهي وسبق الخلق النوري ولذا فأنه يصلي خلف المهدي ﷺ.

الخامسة: وكون المهدي ﷺ آية فأنه المرشد والهادي؛ لأن طبيعة الآيات الالهية أنها ترشد وتهدي كما قال الله لنبيه الكريم **(وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)**.

وهذا معنى كونه ﷺ دليلاً على جميع الأنبياء والرسل، وهو يكشف سر وقوفه ﷺ عند البيت الحرام ويقول: من يحاجني في أدم فأنا أولى بأدم ومن يحاجني في نوح فأنا أولى بنوح.... ألخ.

لأنه ﷺ الدليل الواضح وهو شأن الآيات الربانية.

السادسة: وكون المهدي ﷺ آية فأنه يحمل في طلعته الرشيدة أمرين، الأول الدهشة والرعب والخوف الذي يدخل في قلوب أعداء الله تعالى، فأنه آية العذاب الأدنى كما هو

المروي عن الأئمة عليهم السلام، كحصول الزلازل المخيفة لأعدائه عليه السلام، والثاني أنه يحمل سروراً وفرحاً وبهجة يدخل في قلوب المنتظرين له، فأنه آية الفرج والبشاشة والسعادة، كظهور آيات السعادة كالمطر والنعيم ووفرة الخير، فيبتهج لظهوره المؤمن، ويحزن لظهوره الكافر (**بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ**).

السابعة: وكون المهدي عليه السلام آية الهية، فأنه مذكور في الكتب المقدسة السماوية والتي اشارت إلى امثال هذه الآيات العظيمة، فكما عبر القرآن عن عيسى بأنه آية وذكره، وكذلك ذكر المهدي في الصحف الأولى بأعتباره احدى الآيات العظمى لله تعالى؛ ولذا قال الصادق عليه السلام: أنزل الله تعالى الزبور على داوود وفيه توحيد، وتمجيد، ودعاء، وأخبار رسول الله واامير المؤمنين والأئمة عليهم السلام واخبار الرجعة وذكر القائم[1].

وهذا الذكر في الصحف القديمة هو الذي تسبب في أن تكون فكرة المهدي المنقذ فكرة أممية يقول بها كل أهل الارض؛ لأنهم ورثوها عن الأنبياء القدماء وكتبهم القديمة وما نسخ منها، ولهذا تراهم يقولون عن المهدي عليه السلام إذا ظهر (**أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ**)، إن هذه الفكرة من جملة ما سطره القدماء، فالتفت.

فهذه سبع حبات شرحتها لك من هذه السنبلة.

---

[1] مقدمة مرآة الأنوار ص١٦٩.

الحبة الثانية: المهدي هو القرآن العظيم

وبما أن هذا المطلب عميق وثقيل ينبغي أن نمهد له بمقدمة موجزة، وهي:

أولاً: أن الالفاظ القرآنية لها معاني متعددة، فكل كلمة لها أكثر من معنى، وفي كل مرة تتكرر صورة الكلمة يكون لها معنى مختلف وخير دليل على ما اقول رواية أمير المؤمنين علي عليه السلام، حيث قال: .... والامة في كتاب الله على وجوه كثيرة، فمنها: المذهب، وهو قوله:(كان الناس أمة واحدة)... ومنه الجماعة، وهو قوله: (وجد عليه أمة من الناس يسقون)... ومنه الواحد وقد سماه الله امة وهو قوله: (إن أبراهم كان امة)، ومنه أجناس جميع الحيوان، وهو قوله: (وأن من أمة إلا خلا فيها نذير)، ومنه أمة محمد صلى الله عليه وآله وهو قوله: (كذلك ارسلناك في أمة قد خلت من قبلها)، ومنه الوقت وهو قوله: (وقال الذي نجا منهما وأذكر بعد أمه)، ومنه الخلق كله وهو قوله تعالى: (وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى إلى كتابها)[1]، فلاحظ كيف أن للكملة القرآنية الواحدة عدة معاني متغايرة وعليك أن تعرف أن هذه المعاني السبعة كلها ظاهرية، فكيف بالمعاني الباطنية؟ وهذا سر قول أمير المؤمنين علي عليه السلام أن القرآن بحر لا ينزف، وما نريد التحدث عنه هو من هذا القبيل فإن كلمة القرآن لها معاني متعددة ظاهرية وباطنية، واحد تاويلاتها العظيمة أنه الإمام المهدي وهو تماماً كاستعمال لفظة الشجرة الطيبة التي أصلها ثابت، ثم استعملت كلمة الشجرة في الشجرة الملعونة وهم بنو أمية، فلفظة القرآن أستعلمت في الكتاب التدويني وهو المصحف الشريف، واستعملت في الإمام المهدي عليه السلام، فقد روي عن الصادق عليه السلام في تأويل قوله تعالى: **(وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنْ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ)** قال أن ظاهرها الحمد، وباطنها وله الولد والسابع منها القائم عليه السلام[2].

---

[1] تفسير البرهان ج٢ ص٢٠٩.

[2] البرهان ج٢ ص٣٥٤ ح٨.

وقال الباقر عليه السلام: سبعة ائمة والقائم عليه السلام[1]، وعنه أيضاً أنه قال: نحن هم والقرآن العظيم ولد الولد[2].

وقال الإمام الباقر عليه السلام: نحن المثاني التي أعطاها الله تعالى نبينا...[3].

وتوضيح هذا التأويل:

أن القرآن الكريم هو عبارة عن الارادة الالهية، فكل ما أنزله الله تعالى فقد اراده، وكل ما اراده سبحانه قد أوحاه في قلب النبي صلى الله عليه وآله فصار قلب المعصوم (نبياً أو أماماً) نسخة ثانية للقرآن المصحف، فالكتاب التدويني صورة قلب المعصوم، فمن اراد أن يطلع على قلبه يجد صورته في القرآن المجموع بين الدفتين، وهذا معنى أنهم محل مشيئة الله ومسكن ارادته، وعلى هذا البيان يتضح كون المهدي هو القرآن العظيم فأحكامه أحكامه في الجملة، وهذه النتيجة مهمة للغاية وتكمن أهميتها بما يلي:

١. أن هناك سنخية بين المهدي والقرآن الكريم في عالم الباطن، فالطاقة هي الطاقة، والقداسة هي القداسة، والعظمة هي العظمة، وهذا معنى الروايات التي تقول أن القرآن يدل على آل محمد صلى الله عليه وآله يرشد إليهم.

وهذا يشرح حتى الروايات التأويلية التي من اقسام العلم الصعب المستصعب التي ليس من الحكمة بيانها هنا، لا سيما في مثل هذا العصر، فنذره في سنبله.

٢. أن الكلام المقدس في القرآن الكريم اشير إلى عظمته كقوله تعالى: **(لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ)**.

---

[1] المصدر نفسه وهناك رواية تقول ان القرآن هو النبي صلى الله عليه وآله والمعنى أن المعصوم هو القرآن الكريم كما لا يخفى.

[2] المصدر نفسه.

[3] تفسير القمي ج١ ص٣٧٧.

فهذا القرآن الكريم لو اذن في تجليه وظهور مراتبه النوارنية، لما تحملت المخلوقات المادية عظمته، وهذا في الحقيقة وصف للإمام المهدي ﷺ أيضاً لوحدة السنخية كما بينا، وهكذا عليك بتطبيق آيات العظمة والأعجاز والرهبة والخشوع والخضوع... ألخ.

كلها تجري نفس المجرى، وهو معنى في بيوت اذن الله أن ترفع ويذكر فيها أسمه، فقلب المهدي بيت من البيوت، أو دار الجلال كما في بصائر الدرجات قد أذن في رفعته دوماً[1].

٣. وهنا يتضح ما ذكره علماؤنا الاعلام عن معنى حفظ القرآن في قوله تعالى: **(إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)**، حيث طرحوا راياً إن المراد من الحفظ هو حفظ القرآن في قلب المعصوم، وقد سعى بعض العلماء لرد هذا الرأي، ولكن بقليل من التأمل يظهر صحة ما ذكره الأعلام، لأن أحد معاني الحفظ هو حفظه في قلب المعصوم ﷺ وهو معنى أنهم أستودعوا القرآن، وأنه القرآن الناطق كما اشتهر، فأنه على نحو الحقيقة، وأنه جُعل في صدورهم، وأنهم أهله، وحملته وورثته...ألخ.

---

[1] هذا المعنى لا يلغي أهمية بيوت الأئمة التي سكنوها في الحياة، فإنها من جملة آثارهم المباركة، وهكذا الأماكن المنسوبة إليهم كالحدائق والابار والوديان، فأنها تحمل في ذراتها بركاتهم ﷺ، فيجب تعاهدها والاهتمام بها وأعادة بنائها وتحريض المؤمنين على تشيدها وابراز معالمها، فأن المخطط الاستعماري الناصبي سعى إلى هدمها أو مسحها بالارض، حتى قال شيخ النواصب عبد الله بن عبد الرحمن البجرين: انها ليس من التراث الإسلامي!!

ومن نوائب الدهر أن تهدم قبور الأئمة ﷺ في بقيع الغرقد بينما يتدخل ملك السعودية بنفسه لحفظ قبر أبن تيمية في سورية، فأنه حينما بدأت الهجمة البربرية للوهابية في تهديم القبور، تم هدم قبور الصوفية في سوريا، فتدخل الملك وأتصل بالرئيس السوري حينها شكري القوتلي وطلب منه التدخل في منع هدم قبر أبن تيمية الضال، وبالفعل لم يهدم قبره!!! أنظر مذكرات سائح في الشرق ص٣٢٣، ابو الحسن الندوي.

وابن خلدون الذي قال أن آثار العرب وابنيتهم يسرع إليها الخراب! لا يعلم اننا ابتلينا بأمثال هؤلاء النواصب أهل السفاهة والحماقة الذين يهدمون تراثهم بايديهم.

فجميع هذه المعاني تتضح بمعونة هذا الفهم، والذي يوضح بدوره كون المعصوم هو القرآن العظيم من جهة أخرى، ولا مانع مما ذكره الأخرون، من أن المراد من الحفظ هو حفظه من التحريف مثلاً، فتأمل.

ينبغي هنا تساؤل حول تطبيق الآية في الأئمة من باب التأويل، فأنها قالت: **(وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنْ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ)**، فأن السبعة إذا ثنيت فانها اربعة عشر وهو عدد أهل العصمة عليهم السلام ويساعد على هذا الفهم كلمة المثاني، ثم افرد المهدي عليه السلام أو النبي الأكرم بكونه القرآن العظيم اشارة إلى عظمته وأهمية دوره.

٤. وكونه عليه السلام القرآن، وذلك لأن جميع المبادئ الشرعية للقرآن هي نفسها المبادئ التكوينية للإمام المعصوم عليه السلام، فالمبادئ هي المبادئ ولكن قد تختلف صورها نظراً لتغاير العوالم، فمثلاً لا يمس القرآن الكريم إلا المطهرون –وطبعاً نعني بالمس هو المس العلمي أي الوقوع على أسراره الروحانية وطاقاته الماورائية–، وكذلك الإمام المعصوم لا ينال ما عنده إلا من كان من المطهرين اصحاب الورع والتقوى، فليس كل أحد ينهل من علومهم إلا المقربين، فقد روي أن محمد بن مسلم (الثقة) وأبو كريبة الازدي (الثقة) شهدا عند شريك بشهادة، فنظر إليهما ملياً فقال: جعفريان فاطميان، فبكيا، قال لهما: ما يبكيكما؟ قالا: نسبتنا إلى أقوام لا يرضون بامثالنا أن يكونوا من أخوانهم لما يرون من سخف ورعنا – على الرغم انهما من أهل الورع والثقة– ونسبتنا إلى رجل لا يرضى بأمثالنا أن يكونوا من شيعته فأن تفضل وقبلنا فله المن علينا...[1].

فهذان الراويان الموثقان يقولان هذا الكلام فما حسبك اذن، أينال كل أحد من اسرار الأئمة عليهم السلام؟!.

---

[1] رجال الكشي ص١٤٥.

وهكذا وصف القرآن بأنه الحق، وكذا المهدي وصف بكونه الحق ايضاً الـذي اذا ظهـر زهق الباطل، وهكذا القرآن لا يمكن أن تؤمن ببعضه وتنكر البعض الاخر، والأئمة كذلك، والقرآن ثقل الله في الارض وهم كذلك، والقرآن معجزة الخـاتم ﷺ والائمـة أيـات الله المعجزات وهكذا جميع ما فيه فيهم، فلعل هذا أحد وجوه تاويل القرآن في المهدي عليه السلام.

إذن لا غرابة في مثل هذه التأويلات بعد تقريب وجه الحكمة فيها، ولهذا أمر الائمة عليهم السلام بالتدبر والتأمل وعدم أنكار ما لا يعرفه الإنسان مباشرة، وكذا أمروا عليهم السلام أن يكون مع العلم حلماً وثباتاً، كقول الصادق عليه السلام: أقرء موالينا السلام واعلمهم أن يجعلوا حديثنا في حصون حصينة وصدور فقيهة وأحلام رزينة[1].

وذلك لأن العلم والمعارف الالهية تحتاج إلى استكمال القابليات كي تُفهم.

---

[1] الاختصاص للمفيد ص٢٥٢.

الحبة الثالثة: المهدي ملك الاخرة وسلطانها.

علينا أن نعرف أن لفظة (الأخرة) في القرآن الكريم يراد منها ظهور دولة المهدي عليه السلام، وليس يوم القيامة كما تجده في تفاسير العامة، بل وبعض الخاصة أيضاً، أو نقول أن لهذه اللفظة أكثر من معنى منها القيامة ومنها ظهور المهدي عليه السلام، ويرافق ظهور الاخرة وتحققها بداية عالم الرجعة أيضاً، وهو ظهور بعض الأموات إلى الحياة مجدداً، وقد ذهب جمع من العلماء إلى القول بضرورة الرجعة وأنها من جملة العقائد الضرورية التي لا يمكن المجازفة بأنكارها.

وسيكون الإمام المهدي عليه السلام ملك الأخرة وسلطانها الاعظم، فهو الآمر الناهي، الراعي والقيم، الرئيس والحاكم.

ففي تأويل قوله تعالى: **(الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ)**[1]، قال الإمام الباقر عليه السلام: يعني لا يؤمنون بالرجعة أنها حق[2]، فلاحظ كيف تم تأويل الأخرة بالرجعة، ودولة المهدي عليه السلام، وهو منطبق فعلاً فإن العامة ينكرون ذلك علينا قديماً وحديثاً، وكذلك في تأويل قوله تعالى: **(وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى)**[3]. فقد روي في تاويلها في اللذين لا يؤمنون بالرجعة ودولة المهدي[4].

وهكذا في تأويل قوله تعالى: **(وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنْ الأُولَى)**[5]، قال الصادق: يعني الكرة في الأخرة[6].

---

(1) الانعام ١٣.

(2) مقدمة مراة الأنوار ص٧٢.

(3) الأسراء ٧٢.

(4) المصدر السابق.

(5) الضحى ٤.

(6) المصدر السابق.

وفي تأويل قوله تعالى: **(وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ)**[1]، قال ﷺ: ليس له في دولة الحق مع القائم نصيب[2]، وغيرها من الآيات الكثيرة التي أولّت لفظ الأخرة في دولة الحق المهدية، وأن كان لفظ الأخرة في ظاهره قد يراد به يوم القيامة أيضاً.

وعلى ضوء ما تقدم يمكن حمل جميع الفاظ الأخرة في القرآن على دولة المهدي ﷺ بما يتناسب مع السياق القرآني كما لا يخفى على الخبير، ويكون الإمام المهدي ﷺ صاحب هذا الملك العظيم، وهو ملك الاخرة، وهو سلطانها الاعظم، كما قد تم تسميته بالسلطان في القرآن الكريم اشارة إلى هذا الجانب، ففي قوله تعالى: **(وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً)**[3]، فقد روي في تأويل الاية أنها في القائم ﷺ[4] وهو صاحب السلطة الاخروية والمظلوم هو الإمام الحسين ﷺ.

بل روي في تأويل قوله تعالى: **(وَجَعَلَكُمْ مُلُوكاً)**[5]، عن الصادق ﷺ: الملوك الائمة ﷺ، فإنهم أعطوا ملك الجنة وملك الكرة[6]، يعني الظهور المبارك للمهدي وما يرافقه ويتزامن معه من الرجعة.

فلاحظ الاستعمالات القرآنية عن المهدي ﷺ فأنه سلطان وملك وهو صاحب الأخرة، وقد قال امير المؤمنين ﷺ: أن ملكنا اعظم من ملك سليمان بن داود وسلطاننا أعظم[7].

---

[1] الشورى ٢٠.

[2] المصدر السابق.

[3] الاسراء ٣٣.

[4] المصدر السابق ص١٨٠.

[5] المائدة٢٠.

[6] المصدر نفسه ص٣٠٢.

[7] البرهان ج١ ص٥٢٢ ح٥.

إذا عرفت ذلك فعليك أن تدرك مقصودي من كونه ﷺ ملك وسلطان، لأن المراد من سلطته ليس السلطة الزمانية، فحسب، وأنما الهيمنة الروحانية، التي من خلالها يعود العالم صغيراً عند الإمام المهدي ﷺ، فيتحول كانه درهم في راحته أو جوزه في يده ﷺ، كما في الروايات وهذا على نحو الحقيقة، فإن الإمام يملك الروحانية التي يطلقها بفاعلية النور المقدس.

ولتقريب الفكرة اضرب لك مثالاً، فالنائم احياناً يرى في عالم الرؤيا الاشياء والأحجام الكبيرة قد صغرت عنده دون أن تتأثر هي في شيء، ويشعر بروح الهيمنة عليها في المنام وهو أمر لا يقدر حتى على تصوره في اليقظة، لأن بعض مراتب الشعور والأدراك لا تزال مجهولة عندنا الأن، وقد عبّرت الروايات في الكافي والبصائر وغيرهما أن الله تعالى ينصب أو يرفع عمود من نور فيطلع الإمام على كل شيء في العوالم.

وقد قرّب الله تعالى هذه الفكرة العملاقة التي يصعب هضمها الأن من خلال قصة النبي سليمان، وكيف أنه كان يجوب الدنيا، أو كقصة ذي القرنين الذي سار في كواكب وارضين اخرى، وقد شرحناه مفصلاً في بحوثنا في كتاب فتح الفتوح، فعندما نقول أن المهدي ملك، نريد هذا المعنى الواسع الذي هو أوسع من ملك سليمان وذو القرنين، وهو معنى قوله تعالى: **(وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا)** أي على نهايات الأمكان كله، أي الروح القدسية التي تنتهي إليها النهايات الأمكانية، وهي روح الإمام المعصوم.

فالملك الذي نتحدث عنه ملك من نمط أخر، إذ لا نعني السيطرة على الأرض وشعوبها، بل أن هذا جزء من سلطانه ﷺ، بل هو ملك قد تداخلت فيه الظواهر والبواطن، وتداخلت عوامل الغيوب مع الشهادة، فهو وقوف على نهايات العوالم كلها، وقد سعى الأئمة ﷺ لتقريب هذه الفكرة عبر أحاديثهم، بل وعبر بعض معاجزهم الخارقة التي يستطيع المتأمل فيها أن يدرك المغزى واذكر لك روايتين من هذا القبيل:

في كتاب الاختصاص للمفيد ﷺ عن الحسين بن أحمد بن سلمة الؤلؤي، عن محمد بن المثنى عن أبيه عن عثمان بن زيد، عن جابر بن يزيد، عن ابي جعفر ﷺ، قال سئلته عن

قول الله تعالى: **(وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنْ الْمُوقِنِينَ)**، قال وكنت مطرقاً إلى الارض فرفع يده إلى فوق ثم قال: ارفع رأسك، فرفعت رأسي فنظرت إلى السقف، قد أنفرج حتى خلص بصري إلى نور ساطع، وحار بصري دونه، ثم قال لي رأى أبراهيم ملكوت السماوات والارض هكذا، ثم قال: اطرق فأطرقت، ثم قال: ارفع راسك، فرفعت، وإذا السقف على حاله، ثم أخذ بيدي فقام وأخرجني من البيت الذي كنت فيه، فأدخلني بيتاً آخر فخلع ثيابه التي كانت عليه، ولبس ثياباً غيرها، ثم قال لي: اغمض بصرك، فغمضت بصري.

فقال: لا تفتح عينيك فلبثت ساعة، ثم قال لي: اتدري أين انت؟ قلت: لا، قال: كنت في **الظلمة التي سلكها ذو القرنين**، فقلت له جعلت فداك، أتأذن لي أن أفتح عيني، فأراك، فقال لي: أفتح لا ترى شيئاً، ففتحت عيني فإذا أنا في ظلمة لا ابصر فيها موضع قدمي ثم سار قليلاً فوقف، فقال: هل تدري اين أنت؟ فقلت: لا ادري، فقال: انت واقف على **عين الحياة التي شرب منها الخضر** عليه السلام، وسرنا فخرجنا من ذلك العالم إلى عالم اخر فسلكنا فيه فرأينا كهيئة عالمنا هذا في بنائه ومساكنه وأهله، ثم خرجنا إلى عالم ثالث كهيئة الأول، والثاني حتى وردنا على خمسة عوالم، قال: ثم قال لي: هذه ملكوت الارض ولم يرها ابراهيم وانما رأى ملكوت السماوات، وهي أثني عشر عالماً كل عالم كهيئة ما رايت، كلما مضى منا امام سكن أحدى هذه العوالم، حتى يكون أخرهم القائم عليه السلام في عالمنا الذي نحن ساكنوه، ثم قال لي غض بصرك، ثم أخذ بيدي فإذا في البيت الذي خرجنا منه، فنزع تلك الثياب ولبس ثيابه التي كانت عليه وعدنا إلى مجلسنا، فقلت له: جعلت فداك كم مضى من النهار؟ فقال: ثلاث ساعات[1].

---

[1] تفسير البرهان ج١ ص٥٣٢؟

والرواية الثانية:

قال أبن سلام للنبي ﷺ: اخبرني ما بال السماء الدنيا خضراء؟ قال: يا بن سلام أخضرت من جبل قاف، قال صدقت.

فأخبرني مم خلقت؟ قال: من موج مكفوف، قال يابن سلام ماء قائم لا أضطراب لها، وكانت في الأصل دخاناً، قال: صدقت يامحمد، فاخبرني عن السماوات الها أبواب؟ قال: نعم لها أبواب وهي مغلقة لها مفاتيح وهي مخزونة؟ قال: صدقت، فأخبرني عن أبواب السماء ما هي؟ قال: بسم الله العظيم، قال صدقت، فأخبرني عن طول كل سماء وعرضها، وكم ارتفاعها وما سكانها؟ قال: طول كل سماء خمسمائة عام وعرضها كذلك، وبين كل سماء إلى سماء خمسمائة عام، وسكان كل سماء جند من الملائكة، لا يعلم عددهم إلا الله، قال صدقت.

فأخبرني عن السماء الثانية، مم خلقت؟ قال: من الغمام، قال: صدقت.

فأخبرني عن السماء الثالثة مم خلقت؟ قال: من زبرجد.

قال: فالرابعة؟ قال: من ذهب أحمر، قال: الخامسة؟ قال: من ياقوتة حمراء، قال فالسادسة، قال: من فضة بيضاء، قال: فالسابعة؟ قال: بحر الحيوان، قال: فما فوقها؟ قال بحر الظلمة، قال: ما فوقه؟ قال بحر النور، قال: فما فوقه قال: الحجب، قال فما فوقه؟ قال: سدرة المنتهى، قال: فما فوق سدرة المنتهى؟ قال: جنة المأوى، قال: فما فوق جنة الماوى؟ قال: حجاب المجد، قال فما فوق حجاب المجد؟ قال حجاب الحمد، قال: حجاب الجبروت، قال: فما فوق حجاب الجبروت؟ قال: حجاب العرفان، قال: فما فوق حجاب العرفان؟ قال: حجاب العظمة، قال: فما فوق حجاب العظمة؟ قال: حجاب الكبر، قال: فما فوق حجاب الكبر؟ قال: الكرسي، قال فما فوق الكرسي؟ قال: العرش....[1].

---

[1] البحار ج٥٧ ص٢٤٧.

ولو عدنا إلى القرآن لرأينا أنه قد صرح بأن رسول الله ﷺ قد وصل إلى سدرة المنتهى، بل أنه دخل جنة المأوى، بل إلى ما هو ابعد من ذلك مما جعل الاشـــارة إليـــه بـــالرموز كقوله تعالى: **(ثم دنى فتدلى)** وهذه السعة والعظمة والأحاطة والشمول والاستيعاب ومـــا بينه لنا الحديث أعلاه كله دولة المهدي وسلطانه الأعظم عليه السلام.

وهذا هو المعبر عنه بلغة اليوم سلطة الإنسان على الطبيعة والمراد به الإنسان الأعلـــى، والمراد بالطبيعة كل ما خلقه الله من عوالم الأمكان فهو الملك الذي يقف على ارجائهـــا، فهذا الملك الذي قال عنه أمير المؤمنين عليه السلام أنه أعظم من ملك ســـليمان بـــن داوود عليه السلام، وأعظم من ملك ذي القرنين الذي استطاع الوصول إلى كواكب أخرى، وإلا فإذا كان ملك المهدي كل الأرض لما كان هناك فرق يذكر بين دولته وهذه الدول؟!

وقد ذكرت في بحوث كتابي فتح الفتوح إن الإمام المهدي عليه السلام سوف يعمل علـــى أظهـــار بواطن العوالم وأخراجها من غيبها، فيمتزج عالم الطبيعة بعالم المعنى في الجملة، كما أننا اليوم نعلم جيداً أن في الصخر الصلد زجاجاً شفافاً، ونعلم أن في بدننا أو حولـــه روحـــاً شفافة.

فكذا سيعمل الإمام المهدي عليه السلام على أظهار جواهر ومعاني ورقائق الأشياء، ويعمل علـــى تحرير أهل الأرض من كل أنواع العبودية والاسترقاق.

وتتحقق المنة الالهية الكبرى التي أشار إليها الله تعالى **(وَنُرِيـــدُ أَنْ نَمُـــنَّ عَلَـــى الَّـــذِينَ اسْتُضْعِفُوا)**، فأنه تعالى يمن على أهل الأرض كلهم بالمهدي عليه السلام، المحرر الذي يستعبدهم لله تعالى ويحررهم من كل ألوان الظلم والاستبداد، وقد كان في قصة النبـــي يوســـف عليه السلام خير شاهد على ذلك.

وقد ذكرنا مكرراً أن هذه القصة سيقت في التاريخ وكان أحد أهدافها الأشارة إلى الإمـــام المهدي عليه السلام فقد روي عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال:

وأقبل يوسف على جمع الطعام فجمع في السبع السنين المخصبة فكبسه في الخزائن، فلما أنقضت تلك السنون المجدبة أقبل يوسف على بيع الطعام فباعهم في السنة الأولى بالذهب والفضة، حتى لم يبق بمصر وما حولها ذهب ولا فضة إلا صار في مملكة يوسف، ثم باعهم في السنة الثانية بالحلي والجواهر حتى لم يبق بمصر وما حولها حلي ولا جواهر إلا صارت في مملكته.

وباعهم في السنة الثالثة بالدواب والمواشي حتى لم يبق بمصر وما حولها دابة ولا مشاية إلا صارت في مملكته، وباعهم في السنة الرابعة بالعبيد والإماء حتى لم يبق بمصر عبد ولا أمة إلا صارت في مملكته، وباعهم في السنة الخامسة بالدور والعقار حتى لم يبق بمصر وما حولها دار ولا عقار إلا صار في مملكته، وباعهم في السنة السادسة بالمزارع والأنهار حتى لم يبق بمصر وما حولها نهر ولا مزرعة إلا صار في مملكته، وباعهم في السنة السابعة برقابهم حتى لم يبق بمصر وما حولها عبد ولا حر إلا صاروا عبيداً ليوسف، فملك عبيدهم وأموالهم، وقال الناس: ما رأينا ولا سمعنا بملك أعطاه الله من الملك ما أعطى هذا الملك حكماً وعلماً وتدبيراً.

ثم قال يوسف للملك: أيها الملك ما ترى فيما خلوني ربي من ملك مصر وأهلها؟ أشر علينا برأيك، فإني لم أصلحهم لأفسدهم، ولم أنجهم من البلاء ليكون بلاء عليهم، ولكن الله سبحانه أنجاهم على يدي.

قال له الملك: الرأي رأيك.

قال: إني أُشهد الله وأُشهدك أيها الملك اني قد أعتقت أهل مصر كلهم ورددت عليهم أموالهم وعبيدهم، ورددت عليك ايها الملك خاتمك وسريرك وتاجك على أن لا تسير إلا بسيرتي ولا تحكم إلا بحكمي.

قال الملك: إن ذلك لزيني وفخري أن لا اسير إلا بسيرتك، ولا أحكم إلا بحكمك، ولولاك ما قويت عليه ولا اهتديت له، ولقد جعلت سلطاني عزيزاً ما يرام، وأنا اشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وانك رسوله، فأقم على ما وليتك، فأنك لدينا مكين امين[1].

فهذه صورة ما سيفعله الإمام المهدي عليه السلام تماماً بعد تحرير العالم من الظالمين، وتنظيفه من المستبدين، وأطلاق سراح الفكر الخلاق والحرية المتوازنة، وألغاء الفوارق الاجتماعية والاحكام الجائرة والاستعباد العالمي الجائر، ويقوم بما قام به أمير المؤمنين عليه السلام من الخوارق واتصاله بالعوالم وغير ذلك؛ لأن هذا الأعتقاد جزء من عقيدة الشيعة.

يقول المعصوم عليه السلام: لا يستكمل عبد الإيمان حتى يعرف أنه يجري لأخرنا ما يجري لأولنا[2].

---

[1] البحار ج١٢ ص٢٩٣ في الهامش.

[2] الاختصاص ص٢٦٨.

السنبلة الرابعة

الحبة الأولى: المهدي النبأ الالهي العظيم.

قال تعالى: **(وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ)**، روي عن الثمالي عن الإمام الباقر عليه السلام في تاويل الآية: يعني خروج القائم عليه السلام[1].

إن الحديث عن الإمام المهدي عليه السلام بما هو آخر سفير ألهي يمتد ملكه ليعم الارجاء الكونية، ينبغي أن يكون بحجمه الكبير هذا، وسيكون الكلام عنه كلاماً يختزل في مفرداته جوانباً ليست سهلة، وليس من الحكمة أطلاقها هكذا دون تغليفها وحجبها بحلل من التأويل، إلى أن يرقى العقل البشري في تقدمه وتطوره كي يفهم في النهاية الحتمية ظهور أعظم قائد ترشح منه قرارات السماء، ويتكلم نائباً عن الخالق سبحانه وتعالى.

ولهذا فإن الله تعالى أجّلَ أطلاق هذه الحكمة إلى أن يأتي أوانها، ويحضر أهلها **(وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ)**!!.

لأن الحكمة إذا أطلقت في أوانها فأنها تعطي ثمارها كل حين، وهي دولة المهدي عليه السلام، بحيث يظهر العلم في كل ارجاء العوالم، فروحانية العلم وتموجاته وطاقته تولد أنفجاراً علمياً تتاثر به كل الأصقاع الأمكانية، فأنه على هيئة موجات البحر الذي تمده سبعة أبحر من السبع المثاني تنفعل بها سبع سموات وسبع ارضين فتظهر عظمة السنابل السبع من حبة الرب، وهي فاطمة عليها السلام.

ولهذا عبر القرآن الكريم عن يوم المهدي بتعابير كثيرة في نظام التاويل القرآني الدقيق، وذلك لأنه ليس يوماً عادياً، بل هو يوم الله سبحانه وتعالى؛ ولذلك جاء في تأويل **(وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ)** بأن يوم ظهور المهدي هو أحدها، فقد نسب إلى الله تعالى في اشارة إلى أهميته

---

[1] مقدمة مرآة الأنوار ص١٣٤.

وقداسته، بأعتباره يوم تجلي العدل الألهي، ولذلك تمت تسمية يوم الظهور المبارك بعدة اسماء كما قلنا لعلها اشارة إلى تعدد حيثياته، مثل:

١. يوم الصيحة: **يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج**[١].

قال الصادق عليه السلام: هو الرجعة[٢]، وقلنا أن المراد من الرجعة هي المتزامنة مع الظهور المبارك للإمام المهدي عليه السلام، وإن كان للصيحة أكثر من معنى فهي في بعض معانيها تشير إلى يوم القيامة وخروج الناس للحساب، ولكن هذا لا يلغي ظهور بعض مراتب الصيحة قبل القيامة أيضاً، وهو يوم ينادي المنادي من مكان قريب بظهور المهدي، فهو يوم الخروج فالصيحة ظاهرة لها مراتب في الظهور فأفهم.

٢. يوم الجزاء:

بلحاظ أن الجزاء سيظهر في بعض مراتبه في الدنيا بأتفاق العلماء من الفريقين، أي في دولة العدل سيتحقق الوعد الالهي، وهو جزاء أهل الحق بالنعيم، وجزاء أهل الباطل بالعذاب الاليم، وهو معنى أن القائم عليه السلام يأخذ الجزية من المخالفين، فلعل المراد من الجزية هو الجزاء.

٣. يوم لا ريب فيه:

فأن تأويل قوله تعالى: **(ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ)** في الإمام المهدي عليه السلام وفي علي عليه السلام والائمة عليهم السلام وهو صحيح فقد استعملت كلمة كتاب في عدة معاني، كالقرآن، والنبوة، والتوراة واللوح المحفوظ... ألخ.

ومنها الإمام المعصوم عليه السلام فالمهدي كتاب الله الذي لاريب فيه، وقد بينت لك سابقاً تقريبات في كونه عليه السلام القرآن، فهذا ما يؤيد ذلك فلا تغفل.

---

[١] ق ٤٢.

[٢] البرهان في تفسير القرآن ج٤ ص٢٢٩.

٤. يوم القيامة:

والمعنى قيام الإمام المهدي ﷺ بعدما يأس الناس منه بسبب ضعف الإيمان وأرتداد الناس عن إمامته بسبب قلة معارفهم وضحالة إيمانهم، وقد قال الصادق ﷺ: ... وسُمي بالقائم لقيامة الحق[1].

وهي القيامة الصغرى، عن جابر بن يزيد عن أبي عبد الله ﷺ في قوله تعالى: **(وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى)**، قال: دولة أبليس إلى يوم القيامة وهو يوم قيام القائم، **(وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى)** وهو القائم ﷺ إذا قام فلاحظ كيف إن الإمام استعمل لفظة القيامة وأراد منها يوم قيام القائم ﷺ، بأعتبار ان فيها كل ما في القيامة الكبرى بنحو أدنى من النعيم، والعذاب أو قل أن ظهوره صورة ليوم القيامة.

٥. يوم يقوم الأشهاد:

فإن المهدي ﷺ هو احد الشهداء على الخلق، وقيامه بالأشهاد على نحو الأحاطة والشمول والأطلاع، ويمكن ان يراد معنى أخر وهو أن المهدي كان من جملة الاشهاد الذين اشهدهم الله خلق أنفسهم وخلق الاشياء بحضرتهم.

وقيامه في اخر الزمان، هو عملية تطبيق لما مر في العالم الأول، لذا روي في تاويل قوله تعالى: **(يَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ)** بالرجعة[2]، أي زمان القائم منها، وهو معنى اليوم الأخر في القرآن؛ لأنه أخر أيام الدنيا فأفهم.

٦. يوم ينفخ في الصور:

وهكذا قضية النفخ في الصور، فإن لها عدة ظهورات، اعلاها رتبة واشدها ظهورا في يوم القيامة الكبرى، أو قل أن هذا نفخ جزئي وذاك نفخ كلي، فينفخ في الصور لبعض

---

[1] بشارة الإسلام ص٣١٢ ط قم مكتبة الأمين عام ٢٠٠٤م.

[2] مقدمة تفسير مرآة الأنوار ص١٩٥.

الأرواح، ويؤذن لها بالعودة إلى ابدانها والخروج في دولة وايام المهدي عليه السلام، فمن محض الإيمان يخرج للنعيم، ومن محض الكفر يخرج للعذاب.

٧. يوم الجمع الأكبر:

قال الإمام الباقر عليه السلام: يوم الجمع الأكبر خروج القائم صلوات الله عليه وعلى آبائه، واذان دعوته إلى نفسه[١]، ووجه تقريب هذا التأويل، أن معنى الحج هو القصد، فالمهدي عليه السلام هو الذي تقصده وتنتظر طلعته الرشيدة كل شعوب العالم، بل العوالم بما فيها، بل الأنبياء والأوصياء، والملائكة فهو المقصود وهو المطلوب وهو الجهة وهو كعبة الامال والبيت الحرام، فمع الأعتقاد بولايته وإمامته يكتمل فرض الحج وفرض الصلاة وفرض الصيام و... ألخ.

وبهذا اتضح معنى كونه الحج الأكبر عليه السلام، إذ بدون هذا الاعتقاد لا ينفع الحج، كمن يحج ولا يؤمن بنبوة الرسول صلى الله عليه وآله ، ولكن لو حج واعتقد بالنبوة والولاية أصبح حجهُ حجاً مقبولاً وهو الاكبر.

وقد روي عن الإمام الباقر عليه السلام انه قال: ينبغي للناس أن يحجوا هذا البيت ويعظموه لتعظيم الله أياه وان يلقونا حيث كنا نحن الأدلاء على الله[٢].

٨. يوم الحشر الأدنى:

وهي الرجعة التي تمتزج أيامها بأيام ظهور المهدي عليه السلام، وقد حكى ربنا عنها في قوله تعالى: **(وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجاً)**[٣]، فمن كل أمة يُحشر فوجاً فقط، وهم من محض

---

[١] المصدر نفسه ص١٢٣.

[٢] مقدمة مرآة الأنوار ص١٢٣.

[٣] النمل ٨٣.

الايمان، ومن محض الكفر، وهو حشر جزئي غير الحشر الكلي الذي قال ربنا عنه **(وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً)**[1].

إذن هناك أرجاع لبعض الناس دون البعض في يوم المهدي عليه السلام، وهذا معنى قوله تعالى: **(وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ)**[2].

حيث روي عن الإمام الصادق عليه السلام في تأويل الآية: العذاب خروج القائم ع[3]، وهكذا روي عن أمير المؤمنين عليه السلام: الأمة المعدودة اصحاب القائم الثلاثمائة والبضعة عشر[4]، وقد ورد في الروايات أنهم عليهم السلام أصحاب الحشر والنشر.

٩. يوم كان مقداره خمسين ألف سنة:

وتأويل ذلك في الإمام المهدي عليه السلام يتضح بما مر من الشرح والتوضيح لا سيما طريقة القرآن في استعمال المفردات في المعاني المتعددة، أو من خلال ما بيناه قبل قليل من الأختلاف في درجات الظهور والرتب، فيوم القيامة الكبرى هو المقصود الأعلى من يوم مقداره خمسين الف سنة، ويوم ظهور المهدي كذلك برتبه المختلفة.

وقد ورد في الروايات أن الله تعالى يأمر الفلك في بطئ حركته فتطول الإيام والسنين، فايام المهدي وسنينه ليس كهذه الأيام والسنين، مما سينعكس حتى على طول الأعمار كما بيناه في كتابنا فتح الفتوح فراجعه.

إذن كل هذه التسميات ليوم ظهور المهدي عليه السلام مع ما لم نذكره هنا وذكرناه في الكتاب المشار إليه مثل يوم الفصل والوقت المعلوم واليوم الموعود ويوم الفتح، كل ذلك اشعاراً

---

[1] يونس ٢٨.

[2] هود ٨.

[3] [4] تفسير البرهان ج٢ ص٢٠٨- ٢٠٩.

لأهمية هذا اليوم، وقلنا بأن الله تعالى تحدث عن المهدي بشكل هائل وكبير في القرآن بما يتناسب مع حجم الإمام المهدي عجل الله فرجه، فهذه التأويلات من جملة هذا الحديث الالهي.

فهو النبأ العظيم الذي سيفاجئ الله تعالى به العوالم كلها؛ لأنه يأتي بغتة، أمره كالساعة، وظهوره أمر عظيم.

الحبة الثانية: الانحرافات الذكية!!

عن سدير الصيرفي قال: دخلت أنا والمفضل بن عمرو وأبو بصير وابان بن تغلب على مولانا أبي عبد الله جعفر الصادق ﷺ فراينا جالساً على التراب وهو يبكي بكاء شديداً ويقول: سيدي غيبتك نفت رقادي واسلبت مني راحة فؤادي، قال سدير: تصدعت قلوبنا جزعاً، فقلنا: لا ابكى الله يا ابن خير الورى عينيك، فزفر زفرة أنتفخ منها جوفه، فقال: نظرت في كتاب الجفر الجامع صبيحة هذا اليوم... وتأملت فيه مولد قائمنا المهدي وطول غيبته وطول عمره، وبلوى المؤمنين في زمان غيبته، وتولد الشكوك في قلوبهم، من أبطاء ظهوره وخلعهم ربقة الإسلام عن اعناقهم... فأخذتني الرقة واستولت عليّ الأحزان.... إلى أن قال[1]:

كذلك غيبة قائمنا فأن الناس استنكروها لطولها، فمن قائل بغير هدى بأنه لم يولد، وقائل يقول أنه ولد ومات، وقائل يقول أن حادي عشرنا كان عقيماً، وقائل يقول أنه يتعدى إلى الثالث وما عداه، وقائل يقول أن روح القائم ينطق في هيكل غيره، وكلها باطل، وما ابطائه كأبطاء نوح ﷺ..[2]

والوقوف على هذا النص من الأهمية بمكان:

١. كيف كان الإمام الصادق ﷺ يبكي بكاءاً شديداً مع الزفرات لغيبة الإمام المهدي ﷺ، ومنه يفهم أهمية ضرورة ذكر الإمام المهدي ﷺ في غيبته والبكاء عليه، وهو ما يفعله بعض المؤمنين من الاجتماع صباح كل جمعة وقراءة دعاء الندبة، أو مجالس الذكر والتذكير بالمهدي ﷺ، والأمر يحتاج إلى مداومة؛ لأهميته في ايجاد روحانية الربط والشد.

---

[1] نص الرواية كامل في المصدر ولكني اخذت موضع الشاهد فاجتزأتها.

[2] ينابيع المودة ج٢ باب ٨٠ ص٤٥٤، ط اسطنبول سنة ١٣٠١هـ.

٢. أنبأ الإمام عن المستقبل، فإن أهل السنة بعضهم ينفي المهدي وبعضهم نفي كـــون الإمام الحسن العسكري ﷺ لديه ولد، وبعضهم يقول أن المهدي ﷺ سيولد لاحقاً، فهذه كلها أقاويل وأباطيل كانت في خندق أهل السنة كما يصرحون بها في كتبهم.

والإمام الصادق ﷺ أخبر بما حصل وسيحصل في الأزمنة اللاحقة أيضاً وهمـــا أمران في غاية الأهمية:

أ- بعض من يقول إن الأئمة ثلاثة عشر.

ب- بعض من يقول أن روح القائم توجد في بدن غيره.

ولعل هذه الأفكار لم تحصل بعد، أو بعضها حصل ولكن على نحو بسيط وجزئي، يبـــدو أن المستقبل يخبئ لنا اشخاصاً يحملون مثل هذه الأفكار، ولعلهم من الوسط الشيعي بدليل أنهم يقولون بإمامة الأئمة ﷺ إلا أنهم يغالون في بعض رموزهم الدينيـــة ويتـــصورون أنهم الأئمة ﷺ، وفي اكمال الدين رواية على غرار هذه الفكرة، أي أن بعـــض النـــاس ستقول بإمامة ثلاثة عشرة في غيبة الإمام المهدي ﷺ!

ومن المؤكد إن هؤلاء لا يصَرحون بعقيدتهم هذه من خـــلال منـــابرهم وكتـــبهم، إلا أن سلوكهم يكشف لك عن هذا، أي أن التطرف يصل بهم إلى الغلو فـــي بعـــض رمـــوزهم الدينية إلى درجة أنهم يعتقدون بعصمته، ويتعاملون معه كتعاملهم مع المعصوم، وهذا هو الانحراف الخطير، ولعلنا في زماننا هذا نجد بذور وبدايات مثل هذه الأفكار، والتـــصريح بمثل هذه الأشياء ليس من الحكمة فلنبق الطبق مغطى.

قال تعالى: (**اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ**)[1]، قال الصادق ﷺ حول هذه الآية:

---

[1] التوبة ٣١.

أما والله ما دعوهم إلى عبادة أنفسهم، ولو دعوهم إلى عبادة أنفسهم لما أجـــابوهم ولكـــن أحلوا لهم حراماً وحرموا عليهم حلالا، فعبدوهم من حيث لا يشعرون[1].

وعن الباقر عليه السلام:... وأما أحبارهم ورهبانهم فأنهم اطاعوهم وأخذوا بقولهم واتبعـــوا مـــا امروهم به ودانوا بما دعوهم إليه فأتخذوهم اربابا بطاعتهم لهم وتركهم أمـــر الله وكتبـــه ورسله....[2].

فالقرآن يتكلم ويستنكر هذه الطريقة، أي طريقة الغلو في الرموز الدينية إلى حد العـــصمة مع أنهم ليسوا من أهل العصمة، ويصفهم بأنهم كانوا يعبدون احبارهم!!

فالطاعة المطلقة يعدها القرآن عبادة، ويصنف هؤلاء ضمن تصنيف أهل الـــشرك!! لأن هذا اللون من الطاعة خاصة بالله ورسوله وحججه فقط وفقط.

ولذلك قلنا أن هذا الأنحراف أنحرافاً ذكياً؛ لأنهم يدعوك إلى طاعة العالم؛ لأنه عالم، ثـــم ينسجون لك من حكايات الخوارق ما لا يسمح لك بالتأمل فيها أو السؤال عنها أو التـــردد في قبولها، ثم يمنعوك من نقد ارائه وتفنيدها؛ لأنها محكمات لا يجوز نقدها، أو لأنه كتبها حينما جاءته الالهامات فهي غير قابلة للشك، أو أنه كتبها وقد سبق عصره فالناس لا تفهم وهكذا يتم غسيل الأدمغة في عبادة الأصنام البشرية، وهذا هو عين الاعتقاد بـــ (إمامـــة الثالث عشر)!!.

والنقطة الجوهرية الثانية التي اشار إليها الإمام الصادق عليه السلام في جملة الانحرافات الذكية، هي أن هناك من سينكر المهدي عليه السلام ولكن بطريقة فنية ذات لون عقائـــدي، وهـــي انهـــم يقولون أن روح الإمام المهدي عليه السلام قد حلت في فـــلان فهـــو المهـــدي عليه السلام أو أن الـــروح المهدوية هي التي توجهه وترشده وتسدده.

---

[1] تفسير الصافي ج٢ ص١١٧ ط١ الأعلمي لبنان عام ٢٠٠٨م.

[2] المصدر نفسه.

ونحن في هذا الزمن قد رأينا امثال هذه الأفكار وقد أطلقوا عليها بالرجعة الروحيـــة، اي أن روح المعصوم ترجع وتحل في شخص عادي ويبدأ التسديد، حتى كتبوا عدة كتب في هذا المضمار، فالمهدي لا يظهر وأنما تظهر روحه متلبسة في بدن إنسان، وهـــذا امـــر خطير جداً؛ لأنه يفتح الباب للدجالين وأهل الأهواء في شحن الأجواء بمزيد من الأباطيل، بما يصل الأمر إلى قتل الأبرياء وكل من خالفهم.

وهذه هي فكرة الحلولية وتناسخ الأرواح قديماً، وقد أبطلها الأنبياء القـــدماء وحاربوهـــا، وهكذا حاربها الائمة عليهم السلام ولعنوا القائل بها؛ لأنها لا تبقي حجراً على حجر من الناحيـــة الشرعية.

قال الإمام الرضا عليه السلام: من قال بالتناسخ فهو كافر بالله العظيم مكذب بالجنة والنار[1]؛ لأنه باطل من الناحية العقلية، فهو يعني قدم الأرواح وأزليتها وهو باطل لما ثبت في العقائـــد أنه لا قديم على نحو الحقيقة إلا الله تعالى.

وعليه فالقضية المهدوية تحتاج أن يكون الإنسان المنتظر على درجة جيـــدة مـــن العلـــم والمعرفة، والدراية بأمر المهدي عليه السلام، وطريقة انتظاره، والصبر على غيبته بمزيـــد مـــن الفطنة والنباهة، وقوة في العقيدة.

---

[1] عيون أخبار الرضا عليه السلام ج٢ ص٢٠٢ ح١.

السنبلة الخامسة

الحبة الأولى: قصة ووجود الخضر... برؤية جديدة

علينا أن نعرف أن الخضر ﷺ – سواء قلنا أنه نبي أم عبد صالح – موجود لأجل قضية المهدي ﷺ فقط وفقط لا شيء اخر، وهكذا قصته مع نبي الله موسى ﷺ كان أحد وجوه الحكمة فيها هو خدمة قضية الإمام المهدي ﷺ أيضاً وبيان هذه الامور يحتاج إلى شرح، أحاول أن أقربه إليك:

فقد ثبت تأريخياً أن الخضر ﷺ موجود منذ أزمنة قديمة، وأنه قد شرب من ماء الحياة وهو سبب طول عمره، ونحن نعلم أن تطويل العمر هذا لم يكن الهدف منه لجعله نبياً مثلاً، ولا لأجل أنزال الكتب عليه من السماء، ولا لأجل شريعة جديدة، ولا لأجل أمة يلزم عليه هدايتها ويلزم عليهم أتباعه، بل أنه مختفي عن الناس، فإذا أنتفت كل هذه الامور مع جلالتها وعظمتها فبلا شك سيكون هناك سبباً أخراً جليلاً لطول عمره، وهو ما يفسر لنا سبب شربه من ماء الحياة دون غيره.

وذلك أنه يؤدي دوراً تاريخياً وهو خدمة القضية المهدوية، فأنه من أكبر الأدلة التاريخية لأمكان طول عمر الإمام المهدي، فصار وجوده وجود خدمي للإمام المهدي ﷺ لا غير وهي حكمة غائرة عبر الاف السنين، وبالفعل فأن التحدث بها في وقته يُعد أمراً غير مفهوم وغير معقول، فالذين عاصروا فترة وجود الخضر، او الذين التقوا به فيما بعد يصعب عليهم ادراك الحكمة من وجوده طيلة هذه الالاف من السنين، ومنه نفهم الاسناد الرباني لقضية المهدي ﷺ، وعظيم الاهتمام بهذه القضية، في أن يطيل الله تعالى عمر العبد الصالح ويوظف ذلك خدمة للتدليل على عمر المهدي ﷺ!!

قال الإمام الصادق ﷺ: .... وأما الخضر ما طول الله عمره لنبوة قدّرها له، ولا لكتاب ينزل عليه، ولا لشريعة ينسخ بها شريعة من كان قبله، ولا لأمة يلزم اقتدائهم به، ولا

لطاعة يفرضها له، بل طول عمره للأستدلال به على طول عمر القائم ﷺ، ولينقطع بذلك حجة المعاندين لئلا يكون للناس على الله حجة[1].

فإذا كان وجود الخضر ﷺ لأجل المهدي ﷺ وأنه من جملة خدامه في هذه الجهة، فستكون جميع شؤونه في هذا الاتجاه ايضاً، أي أن جميع ما نقل لنا عن الخضر يصب في نفس الغرض الذي وجد وطال عمره لأجله، والأمر نفسه ينطبق على النبي عيسى ﷺ.

فمثلاً قصته ﷺ مع النبي موسى في القرآن الكريم فأنها جاءت لتخدم قضية المهدي ﷺ ولكي اشرح لك الأمر علينا أن نذكر بعض الآيات أولاً:

(فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا).

(فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلاماً فَقَتَلَهُ).

(فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ ..... فَوَجَدَا فِيهَا جِدَاراً يُرِيدُ أَنْ يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ).

(وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً)[2].

١. فهذه الأفعال في ظاهرها غير مرغوب فيها؛ لأن ظواهرها تخالف الذوق العام، ولكن حقائقها وبواطنها توافق الحكمة الالهية.

وهذا الأمر يخدم القضية المهدوية وافعال الإمام المهدي فانه ﷺ سيقوم بأفعال من هذا القبيل، أي أن بعض أفعاله قد تخالف الذوق العام، أو يستهجنها بعض الناس (أصحاب الطينة الخبيثة)، إلا أنها موافقة تماماً لحكمة الله تعالى، وفيها منفعة عامة.

ومثاله انه ﷺ يخرج بلا تمهيد بل يخرج بغتة وبابسط الوسائل بزي قد يخالف فيه زي العلماء، مما لم يعتد الناس على قبوله، إلا أن الحكمة في ذلك وهكذا بقية أفعاله ﷺ فأن

---

[1] ينابيع المودة ج٢ باب ٨٠ ص٤٥٤.

[2] الكهف ٧١، ٧٤، ٧٧، ٨٢.

ظواهرها مما لا تقبله الناس، كما لم يقبل موسى عليه السلام أفعال الخضر عليه السلام -على الظـــاهر- فكيف بالناس فيما لو كانوا حاضرين؟

فأنهم سيحكمون على الخضر بالسجن أو القتل!! وهذا ما يفسر لنا ارتداد الناس، وأنقلاب بعض المنتظرين، وحصول تحولات في المشهد العقائدي والاجتماعي والـــسياسي تهـــز الواقع كله، كما هز قتل الغلام الصغير واقع موسى الكليم عليه السلام واحدث ثورة فـــي نفـــسه، فلعل المهدي عليه السلام يأمر بقل أناس في نظرنا ابرياء ومن جملة المتدينين إلا أنهم في الحكمة الالهية كحالة هذا الغلام الشقي.

أو يأمر بتخريب ما تعتب البشرية في أنشائه عبـــر مئـــات الـــسنين وبتريليونـــات مـــن الدولارات!! ولا نعلم لماذا، كحال السفينة مثلاً، أنه مجرد مثال فلا تبتأس.

المهم أريد ان اقول أن هذه القصة تم تصريف افعال الإمام المهدي عليه السلام مـــن خلالهـــا، وحال موسى الكليم هو حال المنتظرين الذين يجب عليهم التحلي بالتسليم بلا لماذا.

٢. ثم أن الخضر عليه السلام قال حينما أنتهى من رسم مشهد القـــضية المهدويـــة أن هـــذه الأفعال (أمر) وأنها (تأويل) فهي من عالم الأمر الالهـــي، وأنهـــا لا تفهـــم فـــي ظواهرها، بل تحتاج إلى تأويل، اي النظر إلى البواطن والحقائق، وعليه فلا يحق لأحد أن يفسر افعال الإمام المهدي بشكل ظاهري، بل أن الأحاديث التي خلفهـــا الائمة عليهم السلام عن المهدي وخروجه وقيامه وحروبه وعلمه وو.... هـــي الأخـــرى تحتاج إلى فهمين: الفهم الظاهري، والفهم الباطني وهو التأويل؛ لأن عالم الظهور عالم امتزاجي، كما بينا يتم خلط الشهادة بالغيب، والظاهر بالباطن، والظهور مع البرزخ وهكذا.

ويدلك على ذلك مفردة (أنطلقا) فأنها تشير إلى سرعة الحركة، والتجوال بطاقـــة عاليـــة وهي طي الارض أو طي الزمن، حتى أنهما وصلا قرية لا يعرفونهما معاً!!

٣. أن هذه الافعال، وهذا الامتزاج وهذا التحول الكبير من الصعوبة جداً أدراكه للوهلة الأولى، وأنما الأمر يحتاج إلى عناية وتوفيق وتسديد، ولذلك قال: **(مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً)** أي أن هذا تصريف لما سيحصل في دولة وظهور المهدي، فالأمر كبير وعميق وغائر وعلينا بالتحلي بالصبر والتسليم وعدم السؤال مطلقاً، حتى يحدث لنا المهدي عنه ذكراً، وإلا فأننا بعقولنا المتواضعة هذه لن نستطيع أن نفهم ظاهر أفعاله عليه السلام ؛ لأن الحكمة غائرة فيها، **(فَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْباً)**[1].

فلن نستطيع أن نصل إلى غور الحكمة إلا بالحكمة وهي عند المهدي عليه السلام فلا بد من التسليم له عليه السلام.

وأما حال الناس الذي اعتادوا الجهل والظواهر والإنكار والأعتراض واللجاج فهم كما قال تعالى: **(وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ)**[2].

إذن علينا أن نفهم تصريف العديد من الآيات القرآنية والأحداث التاريخية في أمر الإمام المهدي عليه السلام، وهذا ما قصدناه من قولنا في عدة مناسبات أن القرآن يتحدث عن المهدي بحجمه الكبير الواسع عليه السلام.

لأن المهدي أمر الله تعالى وسرهُ في خلقه فيجب التسليم إلى امره فإن الثابتين على إيمانهم أعز من الكبريت الأحمر كما رُوي[3].

---

[1] الكهف ٩٧.

[2] الكهف ٩٩.

[3] المصدر السابق ص٤٨٩.

وبما أن وجود الخضر ﷺ لتدليل على حياة وطول عمر القائم المهـدي ﷺ إذن سـتكون هناك علاقة وطيدة بينهما أيام الغيبة الكبرى، كما أوضح ذلك إمامنا الرضـا ﷺ بقولـه: .... وسيؤنس الله به وحشة قائمنا في غيبته ويصل به وحدته[1].

إذن هناك تواصل دائمي فإن الخضر في خدمة الإمام المهدي ﷺ، وكل مـا يتمتـع بـه الخضر من قابليات خارقة فإنها في الإمام المهدي ﷺ على نحو اشد واعلى وأكبر، لكنـه يظهرها وفق الحكمة الالهية، فالخضر مثلاً بأمكانه أن يكون وجوداً برزخياً موجوداً فـي عين غيبته فيسمع صوته ولا يرى شخصه، كذلك إمامنا المهدي ﷺ فقد روي عن الرضا ﷺ: أن الخضر ﷺ شرب من ماء الحياة، فهو حي لا يموت حتى ينفخ في الصور وأنـه ليأتينا فيسلم علينا فنسمع صوته ولا نرى شخصه..[2].

وعدم رؤيته ﷺ للخضر لا لعدم قدرته ﷺ، بل لبيان هذه القابلية عندهم أيضاً، فقد يحضر المهدي ﷺ مكاناً بوجوده النوري الذي لا يراه أحد ولكن بالإمكان سـماع صـوته كمـا حصل مع احد العلماء في سرداب الغيبة، ولذلك كان نوم المعصوم و يقظته سـواء بـلا فرق كما هو المروي[3]، وكذلك طول عمره لا يظهر عليه أبداً.

---

(١) (٢) إكمال الدين ج٢ ص٣٩٠ باب ٣٨ ح٤.

(٣) قرب الإسناد ص١٥١

الحبة الثانية: الخضوع للمهدي عليه السلام

قال تعالى: (إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنْ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ)[1].

فهذه الأية من جملة الآيات القرآنية المؤولة في الإمام المهدي عليه السلام، فقد روي في الكافي عن الإمام الصادق عليه السلام:

إن القائم عليه السلام لا يقوم حتى ينادي مناد من السماء تسمعه الفتاة في خدرها ويسمعه أهل المشرق والمغرب وفيه -يعني في المهدي- تنزل هذه الآية (إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ)[2].

وعن الإمام الباقر عليه السلام: سيفعل الله ذلك بهم، قيل: من هم؟ قال: بنو أمية وشيعتهم، قيل: وما الآية؟ قال: ركود الشمس ما بين زوال الشمس إلى وقت العصر وخروج صدر ووجه في عين الشمس يعرف بحسبه ونسبه، وذلك في زمان السفياني وعندها يكون بواره وبوار قومه[3].

وعن الإمام الرضا عليه السلام: هو الذي ينادي مناد من السماء يسمعه جميع أهل الأرض بالدعاء إليه يقول: ألا أن حجة الله قد ظهر عند بيت الله فأتبعوه، فإن الحق معه وفيه، وهو قول الله عز وجل (إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ)[4].

ويمكن أن نقول أن هذه الآية من جملة ما قال عنه العلماء (تأويله بعد تنزيله) أي أن أحداثها لم تقع بعد، فهي على غرار قوله تعالى: (وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ)[5]، التي قال عنها أمير المؤمنين علي عليه السلام: والله ما قوتل أهل هذه الآية منذ نزلت حتى قاتلتهم -اي أهل

---

[1] الشعراء ٤.

[2] [3] تفسير الصافي ج٣ ص٢٤

[1] المصدر نفسه.

[*] التوبة.

الجمل-[1]، وكذلك ما نحن فيه، فإن الآية المتقدمة تحكي حدثاً كونياً هائلاً بسبب حالة الخضوع التام والأنكسار الكامل في صفوف اعداء الله ورسوله، فهي لم تحدث بعد وإنما تحدث في يوم الظهور المبارك.

والآية في مفرداتها وايجازها تكمل وتعكس مشهداً عظيماً، أنها تتكلم عن مشهد الخضوع العالمي للمهدي عليه السلام؛ لأن الآية التي ستظهر ستكون في السماء ومن السماء، وهو الصوت الذي يسمعه أهل العالم ورؤيتهم لصورته في عين الشمس.

والصوت يصحب معه اثير الرعب فيلقى في قلوب المتكبرين ليكون خضوعهم الخيار الأخير، وذلك لأن الآية وصفت الصوت أو النداء بأنه (آية) أي معجزة تخرق المألوف وتذل الأنوف، فتظل الأعناق خاضعة كمن اصابته صاعقة، وهذا هو الذي ذكرناه في وريقات سابقة في ظهور الإمام المهدي تمتزج العوالم، فالآية تتكلم عن اشتراك الأمر السماوي مع الأمر الأرضي وأن كان في حقيقته أمراً واحداً، إلا ان ظهور آثاره يختلف، فبعضه يظهر من السماء، وبعضه من الأرض، وهكذا حتى يكتمل مشهد الظهور المبارك الذي يعقبه مشهد الخضوع ولو بعد حين من الزمن كما صرف ذلك تماماً في مشهد السجود ليوسف عليه السلام فقد سجد له يعقوب وأخوته من باب شكر المنعم وأبراز الطاعة والتسليم والخضوع لأمر الله تعالى.

وجاءت العديد من الروايات وهي تشبه المهدي بيوسف، فيكون مشهد الخضوع أحد المشاهد التي ستحصل في الارض بعد ان يعلن أهل الأرض طاعتهم الكاملة للمهدي عليه السلام، ثم أن الروايات ذكرت خضوع بني أمية والمراد منها كل من كان على شاكلة بني امية في توجهاته وعقائده وتصرفاته، أي الامتدادات الفكرية لخط بني أمية، بدليل أن هذا الصوت الذي سيطلق من السماء يسمعه كل أهل الارض، ففي غيبة الطوسي، قال: ينادي منادٍ من السماء بإسم القائم فيُسمع ما بين المشرق والمغرب، فلا يبقى راقد إلا قام، ولا

---

[1] المصدر السابق ج٢ ص١٠٨.

قائماً إلا قعد، ولا قاعداً إلا قام على رجليه من ذلك الصوت وهو صوت جبرائيل[1]، ولعل هذا أحد معاني قوله تعالى: **(سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ)**[2].

فالصوت يسمعه كل أهل الأفاق، وفيه طاقة اليقين، فالمؤمن المنتظر يدخل الصوت في قلبه اليقين بالمهدي، والكافر المعاند يُدخل الصوت في قلبه الرعب والخضوع للمهدي، قال الإمام الرضا عليه السلام: ... وهو الذي ينادي منادٍ من السماء يسمعه جميع أهل الأرض بالدعاء إليه يقول: ألا أن حجة الله قد ظهر عند بيت الله فاتبعوه، فأن الحق معه وفيه وهو قول الله عز وجل (أن نشأ ننزل....)[3].

فنلاحظ إن الإمام جاء بلفظة (جميع اهل الارض)، ويحتمل أن هذا الصوت هو الذي يحدث الرجفة في الأرض وهي الواقعة المشار إليها في القرآن.

وفي روايات أخرى، أن مشهد الخضوع هذا غير مختصر ببني أمية، وإنما يشمل كل أهل الأرض.

فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام حول قوله تعالى: (أن نشأ ننزل عليهم...)، قال: فلا يبقى في الارض يومئذ أحد إلا خضع وذلت رقبته لها[4].

---

[1] بشارة الإسلام ص٣٢٣.

[2] فصلت ٥٣.

[3] المصدر نفسه ص٢٢١.

[4] غيبة النعماني ص٢٦٠.

الحبة الثالثة: طمس الوجوه

قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقاً لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهاً فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا)[1].

وقد جاءت روايات أهل البيت عليهم السلام حول هذه الآية أنها مأولة في الإمام المهدي عليه السلام[2]، ولكن علينا أن نوضح عدة أمور في الآية كي يتكشف وجه تطبيق الآية في ظهور الإمام المهدي عليه السلام:

١. **(أوتوا الكتاب)**، فقد فسر المفسرون هذا النص باليهود والنصارى، بأعتبار أنهم أهل الكتاب، وأن المقصود من الكتاب هو العهد القديم والجديد..

ولكني هنا أريد أن أوضح أن المراد من أهل الكتاب هم أهل القرآن ايضاً، فالمسلمون أيضاً يشملهم هذا الخطاب ظاهرياً أو باطنياً، فعلى الظاهر قد طالبهم الله تعالى بوجوب الإيمان بما أُنزل سابقاً في القرآن حول آل محمد صلى الله عليه وآله، والان يطالبهم بوجوب الإيمان بالمهدي عليه السلام، ولا اشكال في ذلك ابداً، وهذا هو سر تأويل الآية المروي عن الأئمة عليهم السلام.

ومنه نفهم أن أطلاق (أهل الكتاب) قد يشمل حتى المسلمين حسب السياق، وهو أمر في غاية الأهمية قد غفل عنه أكثر أهل التفسير، بل جاء لفظ الكتاب بمعنى القرآن كقوله تعالى: **(كتاب انزلناه إليك)**[3]، وقوله: **(حم وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ)**[4]، وغيرها، وهذا تماماً كتأويل (بني أسرائيل) بالمسلمين في الروايات، وذلك لأن أفعال المسلمين هي نفس افعال

---

[1] النساء ٤٧.

[2] أنظر بشارة الإسلام ص١٤٣ على سبيل المثال.

[3] ص ٢٩.

[4] الزخرف ٢

اولئك، فكأنهم نسخة ثانية من الأمة الأسرائيلية، التي اتسمت بالعناد والأنكار وقتل الأنبياء والأوصياء.

وقد مارست هذه الأمة كل ذلك كما لا يخفى، حتى قال ﷺ: لو دخلوا حجراً لدخلتموه!!، إذن لا غرابة إذا قلنا أن المراد من (الذين أوتوا الكتاب) هم المسلمون، لا سيما إذا تتبعنا لفظة كتاب لوجدناها تتصرف إحياناً إلى القرآن أيضاً **(الَّذِينَ آتَيْنَاهُمْ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ)**[1]، وهنا الكتاب بمعنى القرآن بالاتفاق.

إذن عليك أن تعرف هذه الحقيقة التي نادراً ما تسمعها وهي أن اصطلاح (أهل الكتاب وأوتوا الكتاب) لا تنحصر في اليهود والنصارى، بل استعملت في المسلمين ايضاً، وقد ذهل علماء التفسير في ذلك، ولذا نرى الائمة عليهم السلام قد اوضحوا هذه الحقيقة في بعض الروايات.

والسر في ذلك هو ما اشرت إليه أي تطابق أعمال المسلمين مع أعمال اليهود والنصارى، تماماً كما روي عن الإمام الصادق عليه السلام في قوله تعالى: **(فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ)**، قال عليه السلام: نزل هذا في قوم من اليهود وكانوا على عهد رسول الله ﷺ ولم يقتلوا الانبياء بأيديهم ولا كانوا في زمانهم، وإنما قتل أوائلهم الذين كانوا من قبلهم فجعله الله منهم واضاف إليهم فعل اوائلهم بما تبعوهم وتولوهم[2].

وهكذا حال هذه الامة التي تطابقت نياتهم وافعالهم مع نيات وافعال اليهود والنصارى فكان الخطاب يشمل الجميع، وهكذا عليك أن تنظر إلى القرآن بنظرة عقائدية مستفادة من نصوص العترة الطاهرة عليهم السلام.

---

[1] البقرة ١٢١.

[2] مقدمة مرآة الأنوار ص٩.

وبعد أن عرفت ان الآية تتكلم عن المسلمين ستعرف إذن أن الذين تطمس وجوههم هم المسلمون أنفسهم.

٢. طمس الوجوه: معنى الطمس هو محو أثر الشيء، وهو يُتصور على اقسام:

أ- طمس القلوب.

ب- طمس الصور.

ت- طمس الزمان.

فطمس القلوب هو طمسها عن الهدى، أي محو أثر الهدى منها وتحويلها إلى الباطل دوماً بحيث لا تفلح أبداً كما هو المروي عن الإمام أبي جعفر عليه السلام [1]، وهو يعطي نتائج الخذلان في العالمين، وهو تعبير أخر عن طمس الباطن ومحو الأحساس الروحاني.

وطمس الصور هو تحويلها ومحو هيئتها الاولية إلى هيئة ثانية، كما روي إن الإمام المهدي عليه السلام يغير صورة الشخص فيجعل قفاه إلى الأمام، ولعل هذا الطمس الخارجي هو صورة لذلك الطمس الأول، اعني طمس القلوب.

وأما طمس الزمان فهو ليس محل بحثنا، ولكن مثاله في قصة آصف حينما أتى بعرش بلقيس، حيث تم طمس الزمن.

ثم أن هذا الطمس سيكون في آخر الزمان وهو في زمان الظهور المبارك للمهدي عليه السلام، بدليل سياق الآيات (أو نلعنهم) والمعلوم أن اللعنة الالهية في الدنيا، ثم أن هذا الطمس سيكون في بعض ممن ينتسب إلى الإسلام وهم اعداء الإمام المهدي عليه السلام وهم النواصب الذين يرفعون شعار الإسلام ظاهرياً، وهم أصحاب السفياني الذين يتكلمون عن الإسلام بعالي الصوت، وهذا يؤيد ما ذكرته من ان المراد بـ (الذين أوتوا الكتاب) هم المسلمون

---

[1] أنظر تفسير الأصفي ج١ ص٢١٤ ط قم مركز الأبحاث الإسلامية عام ١٤١٨هـ.

في الظاهر، وهم الكفار في الباطن، فقد تم طمس قلوبهم فلا تنفعهم الشعارات بعد ذلك؛ لأنهم يهود هذه الأمة بدلالة حديث النبي ﷺ، بل أنه ﷺ قال: ألا أن لكل أمة مجوساً ومجوس هذه الأمة الذين يقولون لا قدر[1]، أي أن المسلمين فيهم فرقة صفنها النبي ﷺ على أساس أنهم مجوس!!

وهكذا في المسلمين تيار عظيم صنفه الرسول الكريم أنهم يهود وأنهم سيحاربون الإمام المهدي ﷺ ثم يستأصلهم المهدي ﷺ عن بكرة أبيهم.

[1] مقدمة مرآة الأنوار ص٣٠٠.

السنبلة السادسة

المهدي عليه السلام مظهر العدل والطفيليون مظهر السوء.

قال تعالى: (**لا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ**)[1] في تفسير العياشي عن الصادق عليه السلام، قال: اي لا تغير الإمامة[2].

وجاء في العديد من الروايات في تفسير كلمات الله بالائمة[3]، ومن هذا نعرف أن الإمام المهدي عليه السلام من الثوابت التي لا يحصل اي تغيير فيها، فهو من الكلمات الالهية، بل هو كلمة الله العليا في هذا الزمان لأن وجوده سبب الوجود، وبالتالي صار وجوده عدلاً ولطفاً، وكرماً، ورحمة، وهذا معنى الكلمة الجامعة، والتامة، والعليا، وقد أوضح الله تعالى أن لا تبديل لهذه الكلمة في الآية أعلاه.

وفي العديد من الأحاديث والروايات والزيارات أن معنى النصوص الشريفة أن الله تعالى لا يغيّر ثوابت العدل الالهي، فبالعدل قامت السماوات والارض، وبالتالي فلا يمكن أن يرفع اليد عن هذه الصفة، أذ يلزم الخلل في منظومة التوحيد، ومن العدل أن يقوم الإمام المهدي عليه السلام، ويعمل على نشر العدل، ومن العدل أن تقوم معه عصابة الحق تنصره، ويلزم أن يكون الغالب على أنصاره هو التدين والالتزام، والمعرفة واليقين، والثبات لا سيما المقربين منه عليه السلام، أبوابه ورسله ووكلائه وقواد جيوشه، وعليه فلا يمكن أن نتصور أن الإمام المهدي عليه السلام سيعتمد على بعض النكرات والعياذ بالله، نعم هو عليه السلام قد يستعين ببعض أهل الإيمان الخالص، المغمورين ولكن من غير العدل أن يستعين بأهل الانحراف والاباطيل، وهذا هو الذي اريد أن اصل إليه في هذه السنبلة، إذ يعمل البعض على تشويه صورة الإمام المهدي عليه السلام من خلال ما يلي:

---

[1] يونس ٦٤.

[2] تفسير العياشي، في تفسير الآية أعلاه.

[3] مقدمة مرآة الأنوار ص٢٩٢.

١. ظهور بعض الشخصيات غير المعروفة بالعلم والتدين، بل غير معروفة على الصعيد الاجتماعي لا تملك أي رصيد من الاحترام، فتلصق نفسها بالإمام المهدي ﷺ على أساس الوكالة أو أي عنوان آخر، ليبدأ مسلسل الأباطيل والانحرافات تحت يافطة التبشير.

٢. وذريعة هؤلاء أن الإمام المهدي ﷺ إمام الضعفاء والفقراء والمساكين، فلا ضير لو أعتمد الإمام على بعض هؤلاء البسطاء الذين كانوا في فترة من فترات حياتهم قد غرقوا في المعاصي والموبقات، حسب زعمهم.

ويعمل هؤلاء على جذب نظرائهم والطيور على اشكالها تقع، بل لربما تعمل بعض الجهات السياسية على تحريك هؤلاء ومدهم بالأموال، لغرض خلق نظرة سيئة اتجاه الإمام المهدي ﷺ، وبالتالي الاستخفاف بأمره وانكاره من الاساس، فيتولد منطق الازدراء بالمهدوية بشكل عالمي بسبب هؤلاء الجهال، الذين حركتهم السياسة، أو حركهم الجهل، ولقد عمل الصوفية هذا العمل لخلق حالة من العداء والاستخفاف بالدين الإسلامي بشكل عام، ولهذا دعم آل أمية الأتجاه الصوفي ما دام أنه يهدم الإسلام ويشوه صورته عالمياً، فكثرت الأباطيل والخرافات الصوفية بشكل هائل حتى كره بعض الناس الإسلام، بل أُقصي وجود الإسلام في المساجد، وخُلي سوق المسلمين من أخلاق الإسلام، وتعطلت المعرفة البشرية من المعارف الإسلامية فصاروا يستوردون المعرفة من الأغريق؛ بسبب الخرافات المضحكة التي ارادوا من خلالها تحطيم الإسلام كعقيدة في قلوب الناس، ولعلني اكتفي بذكر شاهدين فقط من اباطيل الصوفية، وقس الباقي عليهما:

حكي أن بعضهم كان ملاحاً ببحر النيل بمصر، قال: كنت أعدي من الجانب الغربي إلى الجانب الشرقي، ومن الشرقي إلى الجانب الغربي، فبينما أنا ذات يوم في الزورق إذا بشيخ مشرق الوجه عليه مهابة، فقال: السلام عليكم، فرددت عليه السلام، فقال: أتحملني إلى الجانب الغربي لله تعالى، فقلت: نعم.

فطلع إلى الزورق وعديت به إلى الجانب الغربي، وكان على ذلك الفقير مرقعة وبيده ركوة وعصا، فلما اراد الخروج من الزورق قال: إني أريد ان أحملك أمانة، قلت: وما هي؟

قال: إذا كان غداً وقت الظهر تجدني عند تلك الشجرة ميتاً وستنسى، فإذا ألهمت، فأتني وغسلني وكفني في الكفن الذي تجده عند رأسي، وصل عليَّ وأدفني تحت الشجرة، وهذه المرقعة والعصا والركوة يأتيك من يطلبها منك، فأدفعها إليه، ولا تحتقره، قال الملاح: ثم ذهب وتركني، فتعجبت من قوله، وبت تلك الليلة، فلما أصبحت أنتظرت الوقت الذي قال لي، فلما جاء وقت الظهر ونسيت، فما تذكرت إلا قريب العصر، فسرت بسرعة، فوجدته تحت الشجرة ميتاً ووجدت كفناً جديداً عند راسه تفوح منه رائحة المسك، فغسلته وكفنته فلما فرغت من غسله حضر عندي جماعة عظيمة لم أعرف منهم أحداً فصلينا عليه، ودفنته تحت الشجرة، كما عهد إليَّ.

ثم عدت إلى الجانب الشرقي، وقد دخل الليل، فنمت، فلما طلع الفجر وبانت الوجوه إذ أنا بشاب قد اقبل عليَّ، فحققت النظر في وجهه، فإذا هو من صبيان الملاهي كان يخدمهم.

فأقبل وعليه ثياب رقاق، وهو مخضوب الكفين وطاره تحت أبطه، فسلم عليَّ، فرددت عليه السلام، فقال: يا ملاح انت فلان بن فلان، قلت: نعم.

قال: هات الوديعة التي عندك، قلت: من أين لك هذا؟ قال: لا تسأل، فقلت لابد أن تخبرني، فقال لا أدري، إلا اني البارحة كنت في عرس فلان التاجر، فسهرنا نرقص ونغني إلى أن ذكر الله الذاكرون على المآذن، فنمت لأستريح، وإذا برجل قد ايقظني، وقال:

إن الله تعالى قد قبض فلاناً الولي واقامك مقامه، فسر إلى فلان بن فلان صاحب الزورق، فإن الشيخ أودع لك عنده كيت وكيت، قال: فدفعتها له، فخلع اثوابه الرقاق ورمى بها في الزورق، إلى اخر القصة...[1].

وحكي سري السقطي، قال: ارقت ليلة ولم أقدر على النوم فلما طلع الفجر صليت، فلما اصبحت دخلت المارستان[2]، فإذا بجارية مقيدة مغلولة، وهي تقول:

تُغلّ يدي إلى عنقي وما خانت وما سرقتْ
وبين جوانحي كبدٌ أحسنَ بها قد احترقت

قال: فقلت للقيم: ما هذه الجارية؟ قال: هذه جارية أختلّ عقلها، فحسبت لعلها تصلح، فلما سمعت كلامه تبسمت، وقالت:

معشر الناس ما جننت ولكنْ أنا سكرانةٌ وقلبي صاحي
لمْ غللتُم يدي ولم آت ذنباً غير هتكي في حبَّه وأفتضاحي
أنا مفتونةٌ بحبٍّ حبيبٍ لست ابغي عن بابه من براحِ[3]
ما على من أحَبّ مولى الموالي وارتضاه لنفسه في جناحِ[4]

قال: فلما سمعت كلامها بكيت بكاءاً شديداً، فقالت: يا سري هذا بكاؤك من الصفة، فكيف لو عرفته حق المعرفة؟ قال: فبينما هي تكلمني إذ جاء سيدها، فلما رآني عظمني، فقلت: والله هي أحق مني بالتعظيم، فلمَ فعلت بها هذا؟ قال: لتقصيرها في الخدمة، وكثرة بكائها وشدة حنينها وأنينها كأنها ثكلى لا تنام ولا تدعنا ننام، وقد اشتريتها بعشرين الف درهم

---

[1] المستطرف في كل فن مستظرف، شهاب الدين الابشيهي ج١ ص٣٢٣ ط لبنان دار الكتب العلمية عام ١٩٨٦ م بتحقيق د. مفيد محمد قميحة.

[2] المستشفى.

[3] الرحيل والمفارقة.

[4] الأثم واللوم.

لصناعتها فإنها مطربة، قلت: فما كان بدء أمرها؟ قال: كان العود في حجرها يوماً، فجعلت تقول:

وحقكَ لانقضتُ الدهر عهداً ولا كدرت بعد الصفو وداً
ملأت جوانحي والقلب وجداً كيف أقرّ يا سكني وأهدا
فيا من ليس لي مولىً سواهُ تراك رضيتني بالباب عبدا

فقلت لسيدها: أطلقها وعليَّ ثمنها، فصاح وافقراه من أين لك عشرون ألفاً يا سري؟ فقلت: لا تعجل عليَّ، فقال: تكون في المارستان حتى توفيني ثمنها، فقلت: نعم، قال سري: فأنصرفت وعيني تدمع وقلبي يخشع، وانا والله ما عندي درهماً من ثمنها، فبت طول ليلتي اتضرع إلى الله تعالى، فإذا بطارق يرطق الباب، ففتحت، فدخل عليَّ رجل ومعه ستة من الخدم ومعهم خمس بدر[1].

فقال: اتعرفني يا سري؟ قلت: لا، قال: أنا أحمد بن المثنى كنت نائماً فهتف بي هاتف وقال لي: يا أحمد هل لك في معاملتنا؟ فقلت: ومن أولى مني بذلك؟ فقال: أحمل إلى سري السقطي خمس بدر من أجل الجارية الفلانية، إلى اخرى القصة التي لا تهمنا[2].

وهكذا أصبح المغني والراقص الذي لا يصلي ولياً من أولياء الله تعالى، وكذا صارت المغنية الماجنة من المقربين وهكذا دواليك!

حتى أصبح المجون والغناء والطرب والتعلق بالجواري والصبيان من أبرز ثقافة الصوفية بل غير الصوفية، وهم يعدونها من المباحات شرعا، أي أنها لا تتعارض مع الدين وبالتالي فلا يمكنك أن تهزأ بمغني أو مطرب؛ لأنه قد يكون ولياً، وأما اهل الديانة والاستقامة والتقوى، فإن الله تعالى لا شغل له بهم!! هذا هو الإسلام الصوفي!!

---

[1] البدر: جمع بدرة وهي كيس توضع فيه الدارهم.

[2] المصدر السابق.

وهكذا يريد البعض أن يستنسخ التجربة الصوفية هذه في موضوع الإمام المهدي عليه السلام[1]، فيخرج من عرف بالسوابق السيئة، ليدعي أنه الباب إلى المهدي عليه السلام، أو أنه ابنه، أو أنه سفيره الخاص في الغيبة الكبرى!! مع تورطه بالمعاصي والفساد والسمعة السيئة، والهدف واضح تماماً، وهي محاولة اسقاط فكرة الإمام المهدي المقدسة في نفوس الناس.

وهذا ما لا يكون ابدا، فالمهدي عليه السلام أخر الحجج الالهية وعليه فإنه سيقوم نوابا وسفراء من أفضل ما يكون في ظهوره المبارك، وما قبل الظهور المبارك يبشر به محمد ذو النفس الزكية قبل ١٥ يوماً في مكة لا غير.

وذلك لأن الله تعالى لا يغيّر كلمات العدل التكويني والتشريعي فكما أن الإمام المهدي عليه السلام يمثل الاديان والأنبياء، وأنه في كمال التقديس والعصمة والجلالة والقرب الالهي، فكذا سيكون نائبه الخاص أو سفيره الخاص أيام ظهوره المبارك، كما شاهدنا ذلك في نوابه الأربعة رضوان الله عليهم في غيبته الصغرى.

فأنهم في كمال الفقاهة والديانة والتقوى والورع وعليه نفهم من هذا أن هناك مؤامرات من جهات تريد الاساءة إلى أمر المهدوية وايجاد فجوة في عقائد المنتظرين، بدوافع النصب والعداء لأهل البيت عليهم السلام، أو بدوافع سياسية عالمية كبرى[2]، وعلى المؤمن أن لايتحرك مع الدعوات المهدوية التي ترى ضرورة الحركة وتغيير الانظمة، وخلق التنظيمات وأفتعال الازمات واراقة الدماء ووو... فإنها ليست من فكر أهل البيت في شيء أطلاقاً وبضرس قاطع.

---

[1] قالت الصوفية للإمام الرضا عليه السلام حينما جعله المأمون ولي عهده: إن المأمون قد رد إليك هذا الأمر وأنت احق الناس به، إلا أنه يحتاج أن تلبس الصوف وما يحسن لبسه، فقال ع: ويحكم أنما يراد من الإمام قسطه وعدله، إذا قال صدق، وإذا حكم عدل، وإذا وعده انجز، قال الله تعالى: (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنْ الرِّزْقِ)، أن يوسف عليه السلام لبس الديباج المنسوج بالذهب وجلس على متكأت آل فرعون/ كلمة الإمام الرضا عليه السلام السيد حسن الشيرازي ص٣٢٣.

[2] أنظر على سبيل المثال ما فعله محمد بن تومرت في المغرب فقد أدعى أنه المهدي المنتظر وأنه الإمام المعصوم وقد بايعه الناس على ذلك، واستدرج الأحداث والشباب وذوي الغرة من قومه حتى وضع اسس دولة الموحدين التي لا تختلف عن السلفية والوهابية في هذا الزمان/ لمزيد من الفائدة حول أبن تومرت أنظر كتاب الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس د. حسن علي حسن ط١ مصر عام ١٩٨٠.

فعن عبد الملك بن عمرو، قال: قال لي أبو عبد الله ﷺ: يا عبد الملك ما لي لا اراك تخرج إلى هذه المواضع التي يخرج إليها اهل بلادك؟ قال: قلت: أين؟ قال: جده، وعبادان، والمصيصة، وقزوين؟ قلت: أنتظاراً لأمركم ولاقتداء بكم، فقال ﷺ: أي والله لو كان خيراً ما سبقونا إليه[1].

والرواية واضحة في أنه يعمل بعض الناس لإظهار نفسه بمظهر الحريص على الإسلام او التشيع أكثر من المعصوم نفسه، فإن هذا الأمر أعني التحركات والثورات و .. لو كان خيراً لسبقنا إليه الإمام المعصوم نفسه؛ لأنها مسؤوليته.

ويمكن القول أن هدف هؤلاء الذين يلصقون أنفسهم بالإمام المهدي ﷺ هو أيصال الناس إلى مرحلة اليأس، فإن الناس حينما يشاهدون هذا الأنحطاط في هؤلاء، يحصل عندهم تشكيك والشك يقودهم إلى فتنة وهكذا حتى اليأس ولعل أفضل من كتب حول ظاهرة التشكيك واليأس الشهيد السعيد السيد حسن الشيرازي في مقدمة كتابه كلمة الإمام المهدي ﷺ، فنحيل القارئ إليه.

وكذلك يمكن القول أن هدف هؤلاء المنحرفين الذين يدعون المهدوية بطريقة او بأخرى هو إيجاد أنقسامات في الصف الشيعي وبالتالي يؤدي إلى اضعافه وتولد الكراهية والحقد بين الأفراد، ولربما أدى ذلك إلى سجالات تؤدي إلى التكفير أو القتال، وحتى لو لم يكن قصدهم هذا، فإن فعلهم ومزاعمهم تنتهي إلى مثل هذه النتائج كما حصل في التاريخ، كالبابية والبهائية، ومن هنا نعرف بعض أسرار الروايات التي تدعو إلى عدم الدخول في مشروعات عسكرية كي لا تترتب هذه النتائج السلبية، كقول الإمام الجواد ﷺ: ولا اعلم في هذا الزمان جهاداً إلا الحج والعمرة والجوار[2].

---

[1] الوسائل ج١٥ ص٤٦ ح٢ باب ١٢ كتاب الجهاد ط بيروت.

[2] المصدر السابق ح٤ ص٤٧.

فإن أمثال هذه الروايات جاءت لرسم معالم خطة وحيوية للحافظ على تماسك الشيعة، وللحيلولة دون استضعافهم، وللحيلولة دون ظهور دجالين يستغلون اسم الإمام المهدي كأبن تومرت في بلاد المغرب الذي كان سبباً في نشوء دولة الموحدين التي قامت بإسم الإمام المهدي، فإنه أدعى المهدوية وكان يزعم أنه ملهم من الله وأنه أطلع على كتاب الجفر، فعنده المغيبات، حتى مال اصحابه إلى نفي صفة البشرية عنه!.

ثم أن بعض النجاحات التي قد تسجلها بعض الحركات الشيعية لا تصلح مبرراً لرفع اليد عن هذه الروايات، وذلك لأننا نقصر النظر إلى النتائج القريبة، ولا ندري ماذا سوف يحدث بعد مضي السنين، وماذا سيترتب من نتائج بعد مرور جيل، مع أننا نشهد جميع الثورات في كل العالم انها تبدأ بشيء وتنتهي بشيء أخر، فليس من الصحيح ألغاء النظر في مثل هذه المرويات العظيمة، وقد شرحت الأمر في كتابي فتح الفتوح.

وطريقة الائمة عليهم السلام هذه استراتيجية؛ لأنها تقول لك أعمل بهدوء ودبلوماسية، وأدع الناس إلى الحق ولكن باسلوب لا يثير ضدك الشكوك، وكان الأئمة عليهم السلام هم رواد هذه الطريقة.

فقد أثر الإمام الكاظم عليه السلام على أخت السندي بن شاهك فتشيعت، ثم تشيع حفيده محمود بن الحسين بن السندي.

واستطاع العلماء الذين عملوا بهذه الطريقة أن يكسبوا العديد من الشخصيات المؤثرة إلى التشيع أمثال الخليفة العباسي الناصر لدين الله، وابن الشريف الجرجاني شمس الدين محمد، وزبيدة زوجة هارون العباسي[1]، والمؤرخ اليعقوبي صاحب التاريخ، مع أن جده كان من موالي المنصور العباسي، والعياشي صاحب التفسير وغيرهم كثير.

ولهذا حفل التاريخ الشيعي بأكابر العلماء في شتى الفنون، كابن دريد صاحب الجمهرة، وابن السكيت صاحب اصلاح المنطق، وأبن الشجري صاحب الحماسة، وابن مسكويه صاحب تجارب الأمم، والمبرد صاحب الكامل، والراغب الاصفهاني صاحب المفردات،

---

[1] انظر الكنى والألقاب، عباس القمي ج٢ ص٢٨٢ ط قم.

ونفطويه صاحب اعراب القرآن، وبديع الزمان وابن خالويه وغيرهم بالعشرات، مع إن بعض هؤلاء لم يكن إمامياً، بل تكللت جهود العلماء بتحويله إلى مذهب الحق، عبر الطريقة التي علمها الأئمة عليهم السلام لشيعتهم.

السنبلة السابعة

التصريف القرآني والإمام المهدي عليه السلام

لقد ذكرنا في هذا الكتاب وفي غيره نظرية التصريف التي اشار إليها الحق المتعال سبحانه وتعالى: **(وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ)**[1]، وقلنا أنه تعالى ذكر الإمام المهدي عليه السلام في كل القرآن الكريم تارة بالتفسير وآخرى بالتاويل، وثالثة بالتصريف، ظاهراً وباطناً، تلويحاً ولطائفاً، وهذا شأن آل محمد صلى الله عليه وآله ، فمثلاً تم صريف أحداث السقيفة في قصة النبي ايوب وذلك بالتقريب التالي:

إن النبي آيوب عليه السلام قد فقد كل شيء حوله، بسبب اثارة الشيطان للسفهاء الذين سرقوا أمواله وأنعامه وآثاثه ومتاعه، حتى أوصلوه إلى حد الفقر وكان هذا هو بلائه، وقد أدى به الفقر إلى هلاك أفراد عائلته فماتوا، ولعل بعضهم قد قتل وما أشبه ذلك حتى بقيت معه زوجته فقط!

وكان ذلك كله بسبب الحسد، وهكذا مر أمير المؤمنين عليه السلام بأزمة السقيفة التي لم تختلف عن السقيفة التي أستظل بها الشيطان في زمان أيوب وهو يأمر ابالسته في إيذاء النبي ايوب عليه السلام.

وبالفعل فقد حسدت قريش أمير المؤمنين عليه السلام وأنطلقوا مع ابالستهم من السقيفة لأقصاء الإمام من منصبه الرسمي وابعاده عن مسرح الحياة فلم يكن معه إلا زوجته المظلومة فاطمة الزهراء عليها السلام تدور على بعض دور الأنصار وتذكرهم بحق علي عليه السلام، دون جدوى حتى صار عليه السلام جليس الدار وكان عليه أن يصبر تماماً مثل كل الأنبياء الذين صبروا ومنهم أيوب وصار تصريف موقف الزهراء فيما فعلته رحمة زوج النبي أيوب في

---

[1] الكهف ٥٤.

موضوع الحنث، إلا ان الزهراء أرادت ان تكشف رأسها وتدعو على الامة، فمنعها علي عليه السلام وامرها أن لا تعود لذلك؛ لأنها كأبيها المصطفى رحمة للعالمين.

وقد روي في هذا التصريف قول أمير المؤمنين عليه السلام: فيَّ سنة من أيوب والله ليجمعن الله لي أهلي كما جمعوا لأيوب[1].

وعليك ان تفهم إشارة التصريف من هذه الرواية، وكما عملت الشياطين على أثارة السفهاء ضد أيوب، كذلك عمل شياطين الأنس من هذه الأمة على أثارة السفهاء ضد أمير المؤمنين علي عليه السلام.

وهكذا تم تصريف بعض فصول حياة الإمام الحسين عليه السلام في قصة النبي نوح عليه السلام، وقد ذكرته في كتابي (الحسين سر الله)، لا سيما إذا أخذنا بنظر الاعتبار الحديث النبوي: (مثل أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وهوى).

وكذلك تم تصريف وصايا النبي بأهل بيته وتشديده على الامة الإسلامية بموضوع الطاعة والحب والأتباع لأهل بيته وأنهم أجر رسالته، ثم تصريف كل هذا في قصة النبي صالح وناقته.

فإنه عليه السلام اخرج لهم الناقة وفصيلها آية معجزة لقومه، واشترط عليهم عدم ايذائها وعدم التعرض إليها بسوء على اساس أنها آية من آيات الله تعالى إليهم، وقد اقتضت الحكمة أختيار إيمان هؤلاء بهذه الناقة، ومع كل هذه الآيات المعجزات التي شاهدوها من الناقة، والتي كانوا يشاهدونها في كل يوم، إلا إنهم استحبوا العمى على الهدى، فقاموا على عقر الناقة وقتلها استكباراً من عند أنفسهم وكذلك هذه الأمة الإسلامية، إذ لطالما أكد عليهم الرسول الكريم بوجوب طاعة أهل بيته وأن حبهم فرض من الله تعالى و و ...

ومع كل ذلك فأنهم عمدوا إلى أهل بيته فقتلوهم وشردوهم وسجنوهم وفعلوا بهم مافعلوا.

---

[1] مرآة الأنوار ص٧٠.

وتم تصريف فضائل أهل البيت عليهم السلام لا سيما أمير المؤمنين عليه السلام جميعاً بقصة أحراق النبي إبراهيم عليه السلام.

فإن القوم عمدوا طيلة مئات السنين لأحراق ذكرهم، وطم فضائلهم، وطم معالمهم، وأخفاء آثاراهم، بنارهم التي اشعلوها في السقيفة، واججوها بحطب البغض والنصب على مر السنين، إلا إن الله تعالى أصدر خطابه التكويني بخلود أهل البيت عليهم السلام، وأنه تعالى كتب لهذه الفضائل والمناقب برداً وسلاماً، وهكذا ما نحن فيه حول الإمام المهدي عليه السلام فقد تم ذكره في تصريف القصص القرآني في مواضع شتى قد أشرنا إلى بعضها في كتبنا ومحاضراتنا، وهنا نذكر التصريف الذي أختزل و بُطن في قصة النبي يوسف عليه السلام.

إذ إن المراد من يوسف عليه السلام هو الإمام المهدي عليه السلام وبالفعل فقد تم تغييب الإمام عليه السلام كما غُيّب النبي يوسف في مبكر العمر، ويتحمل الإمام المهدي عليه السلام في غيبته كل هذه المتاعب والمشاق التي اشير إلى بعض منها في قصة النبي يوسف.

ثم يظهر الإمام المهدي ليكون حاكماً مطلقاً، ومنقذاً لأهل الأرض كما كان النبي يوسف عليه السلام.

وحينها سيكون أمير المؤمنين عليه السلام في رجعته، كلقاء يعقوب بأبناء يوسف، ولذا جاء وصف أمير المؤمنين عليه السلام أنه أسرائيل هذه الأمة أشارة إلى هذا التصريف.

وهكذا يظهر وجه بعض الروايات في تأويل يعقوب بالحسين عليه السلام، فإنه والد المهدي عليه السلام ويوسف أبن يعقوب، فلا تغفل.

ثم أن هذا التصريف يعني إن الإمام المهدي عليه السلام سيقوم بوضع استراتيجيات الانقاذ التي لم ولن تخطر على بال أحد، وهو يعني أن العالم سيشرف على وضع كارثي مهلك، لولا ظهور الإمام المهدي عليه السلام وقيامه بمشروع الانقاذ الكبير، وقضائه على كل الديانات الزائفة، وهذا ما فعله يوسف عليه السلام في حدود بلاد مصر، وقد اشرنا إلى ذلك.

فكانت أنموذجاً يحكي للعالم قصة الانقاذ الكبرى التي ستكون على يد المهدي عليه السلام.

ثم أن حاكمية الأسباط من بعد موسى يحكي حاكمية الائمة العظام عليهم السلام في رجعتهم، لما روي إنهم بمنزلة الاسباط كما قال عليه السلام: حسين سبط من الأسباط.

وهذا التصريف يفتح لك وجه الحكمة في تشبيه الإمام المهدي عليه السلام بيوسف الصديق عليه السلام في الروايات.

وهذا لا يضر في علة وجه الشبه، حيث ذكر الأئمة عليهم السلام، أن وجه التشابه هي الغيبة، إذ المراد إن الإمام المهدي عليه السلام يغيب ثم يظهر من بعد الغيبة ليحدث اكبر حدث في الأرض، كما فعل النبي يوسف عليه السلام ذلك.

والتصريف واضح في قول يوسف: **(اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ)**، مع أنه كان خازناً لمصر وما حولها فقط، إذ يظهر أن الخازن الحقيقي للارض كلها هو الإمام المهدي عليه السلام وأن الله تعالى هو الملك العلام الذي يهب له هذه السلطة العريضة.

وتصريف عجز المعبرين عن تعبير رؤيا الملك، هو عجز البشرية كافة عن ممارسة أي مشروع ينقذ الأرض، وعجزهم أيضاً عن معرفة وقت الظهور المبارك، وعجزهم أيضاً عن مواجهة المهدي عليه السلام، بل سقوط كل الذرائع التي من خلالها يريدون أن يضعوا خططاً وما شابه.

وزليخا هي التي جرى التصريف فيها بالدنيا التي صرعت كل اصحاب السلطة، وزواج الإمام منها هو تصريف في اخضاعها وإذلالها للمؤمن وقد فصلت ذلك في فتح الفتوح فراجع.

ولا ننسى أن نذكر بقوة الإمام المهدي عليه السلام البدنية، فأنها من جملة ما يساعده في تسجيل الانتصارات وإدارة البلاد، كما كان جده أمير المؤمنين عليه السلام.

فقد قال الإمام الرضا عليه السلام في وصف الإمام المهدي عليه السلام: قوياً في بدنه حتى لو مد يده إلى أعظم شجرة على وجه الارض لقلعها ولو صاح بين الجبال لتدكدكت صخورها[1].

وقول الإمام الرضا عليه السلام يصور لنا قوة المهدي عليه السلام الخارقة، فإن من الاشجار على وجه الأرض ما طولها عشرات الأمتار وغلظ ساقها إلى ٣ أو أكثر من الأمتار.

وهكذا في صيحته الذي تتدك الصخور وتسقط من مكانها وتفتت لعظيم صوته عليه السلام، فهذا عامل من عوامل الانتصارات والهيمنة المهدوية مما لا يحتاج معه إلى تمهيد كما قلنا.

---

[1] كمال الدين ج٢ ص٣٧٦ ب٣٥ ح٧.

المحتويات

تمهيد ٥

ثقافة التأويل ٥

معنى التأويل ٧

شرط التأويل ٧

هدفنا من كتاب التأويل ٨

لماذا التأويل: ١٢

حجية روايات التأويل: ١٧

التأويل مراد الله تعالى ١٧

تقريب فكرة التأويل ١٨

التأويل في القرآن ٢٠

ست قواعد في الحكمة لفهم كلام المعصوم ﷺ ٢٢

السنبلة الأولى وفيها حبات ٢٥

الحبة الأولى: مسخ قبل الظهور ٢٥

الحبة الثانية: عقوبات قبل الظهور ٢٩

الحبة الثالثة: عجول قبل الظهور! ٣١

الحبة الرابعة: مرجئية الشيعة ٣٣

السنبلة الثانية ٣٧

الحبة الأولى: سير الإمام المهدي في العوالم. ٣٧

الحبة الثانية: المهدي ﷺ ... الإنسان الاعلى ٤٦

الحبة الثالثة: دين القائم عليه السلام ٥١

السنبلة الثالثة ٥٨

الحبة الأولى: المهدي آية الرحمن ٥٨

الحبة الثانية: المهدي هو القرآن العظيم ٦١

الحبة الثالثة: المهدي ملك الاخرة وسلطانها ٦٦

السنبلة الرابعة ٧٤

الحبة الأولى: المهدي النبأ الالهي العظيم ٧٤

الحبة الثانية: الانحرافات الذكية!! ٨٠

السنبلة الخامسة ٨٤

الحبة الأولى: قصة ووجود الخضر... برؤية جديدة ٨٤

الحبة الثانية: الخضوع للمهدي عليه السلام ٨٩

الحبة الثالثة: طمس الوجوه ٩٢

السنبلة السادسة ٩٦

المهدي عليه السلام مظهر العدل والطفيليون مظهر السوء ٩٦

السنبلة السابعة ١٠٥

التصريف القرآني والإمام المهدي عليه السلام ١٠٥

من إصدارات المؤلف

١. عظمة أمير المؤمنين عليه السلام.

٢. عظمة الصديقة فاطمة عليها السلام.

٣. عظمة الإمام الحسين عليه السلام.

٤. الحسين سر الله.

٥. المعاهدة بين الإمام الحسن ومعاوية.

٦. المنتخب من قصص الأنبياء.

٧. دليل الخطباء.

٨. علي سر الإيمان.

٩. علموا اولادكم حب محمد وآل محمد.

١٠. هذه هي الحقيقة في شؤون الولاية.

١١. فتح الفتوح (حول الإمام المهدي).

١٢. سنابل مهدوية (حول الإمام المهدي).

١٣. قناديل (أخلاق).

١٤. الشهيد زيد بن علي.

١٥. عين سلسبيل في شرح زيارة آل ياسين.

١٦. الفرقة الناجية / ترجمة.

١٧. مائة مقالة سلطانية/ ترجمة.

١٨. فاطميات (حول الزهراء).